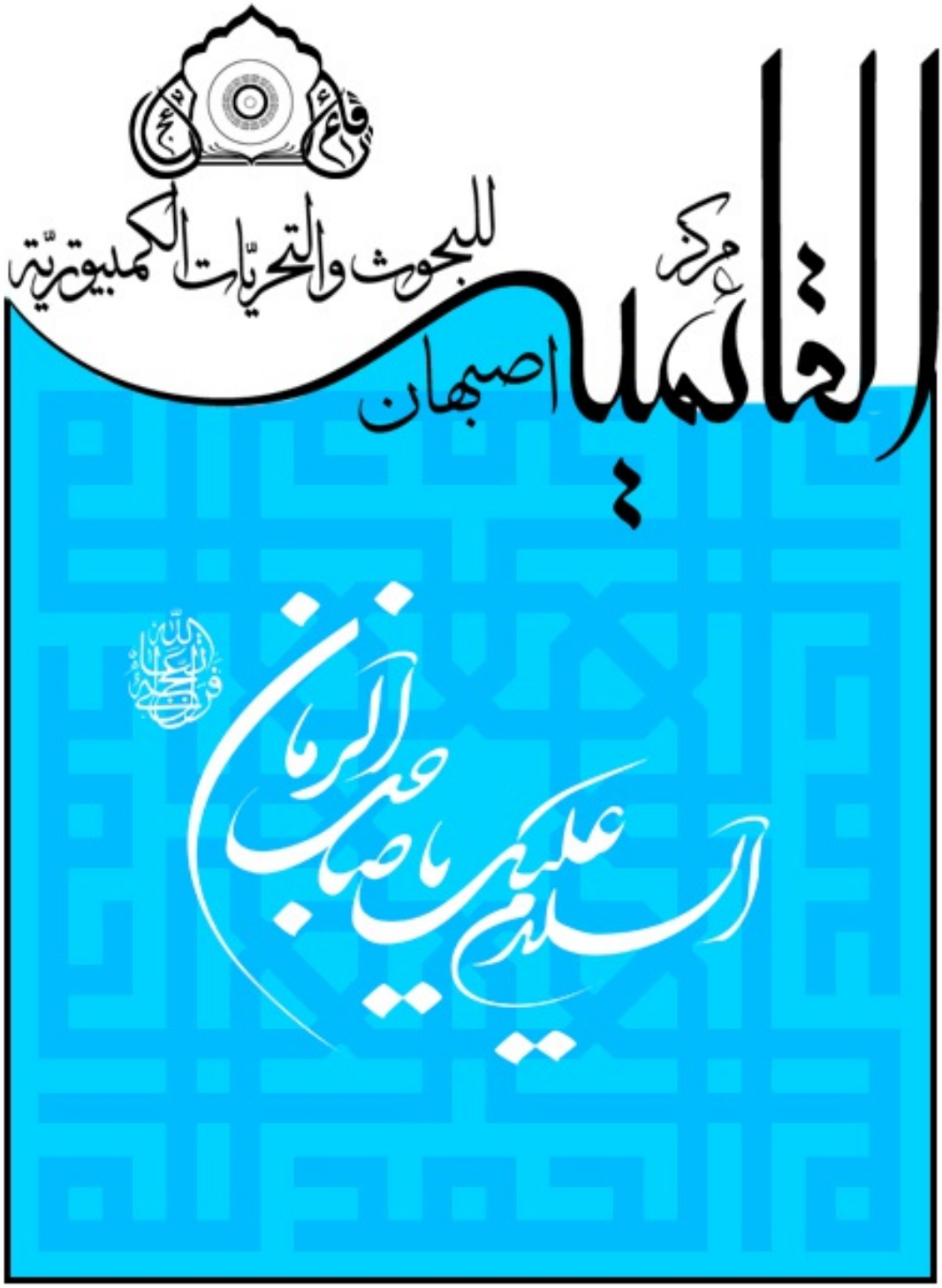

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

من عند الله علم الكتاب

جلال الصغير

بسم الله الرحمن الرحيم

من عنده علم الكتاب

كاتب:

جلال الصغير

نشرت فى الطباعة:

دارالأعراف للدراسات

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
من عنده علم الکتاب؟ ----- ۷
اشارة ----- ۷
المقدمة ----- ۷
الاهداء ----- ۹
الشهادة فی المصطلح والمفهوم ----- ۹
الشهادة فی دلالاتها التفسیریة ----- ۱۱
اشاره ----- ۱۱
سورة الرعد مکیة أم مدنیة ----- ۱۱
ای شاهد و أی شهادة ----- ۱۲
الآیة فی دلالاتها التفسیریة ----- ۱۵
هل هو شاهد واحد ----- ۱۵
هل الشاهد علماء أهل الکتاب ----- ۱۶
امیرالمؤمنین هو الذی عنده علم الکتاب ----- ۱۸
ای کتاب.. و أی علم ----- ۲۰
الواقع الروائی لأفکار الانحراف ----- ۲۱
اشاره ----- ۲۱
المبنی الروائی لتحریف مراد الآیة ----- ۲۲
من عنده علم الکتاب فی سنة المعصوم ----- ۲۵
آیات أخری شاهدة علی شاهدیة أمیرالمؤمنین علیه ----- ۳۰
اشاره ----- ۳۰
علی الشاهد الذی یتلو من کان علی بینة ----- ۳۰
الامة الوسط.. إخفاق أخر لخط الانحراف ----- ۳۳

على من تنزل الملائكة والروح ----- ۳۵
عودة للبداية ----- ۳۶
خاتمة المطاف ----- ۳۸
پاورقی ----- ۳۹
تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية ----- ۵۳

من عنده علم الكتاب؟

اشارة

مولف:جلال الصغير

ناشر:دارالأعراف للدراسات

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب (سورة الرعد: ۴۳). الحمد لله كما هو أهله، نحمده بحمد لا يزول ولا يحول، ونستعينه على شرور أنفسنا من أن نضل أو ننحرف أو نخزى، ثم الصلاة على سيد رسله وخاتم أنبيائه، المستودع على كتابه، والمستحفظ على علمه، والمؤتمن على وحيه سيدنا ونبينا محمد وعلى الصفوة المنتجبة والخيرة المنتخبة من آله الذين عصمهم الله من الزلل، وجعلهم الراسخين فى علمه، حيث لم يأتمن عليه إلا من ارتضى من نبى أو شهيد... ها نحن نعاود من جديد الحديث عن واحدة أخرى من تلكم المفردات التى استهدفتها الثقافة التحريفية، التى ما فتئت منذ برهة من الزمن من الخروج علينا بين آونة وأخرى بشئ جديد، ليصب فى قائمة جرأتها على فكر أهل البيت (ع) وابتعادها عنه، رغم محاولاتها الحثيثة لتقديم هذا الانحراف على أنه فكر مدرسة أهل [صفحه ۸] البيت (ع). وهذه المفردة رغم أن صورتها المباشرة قد لا تشكل ذلك الشئ الكبير فى قائمة الانحراف، إلا أننا سنلاحظ أن استهدافها يخبئ وراءه جملة من الغايات والأهداف الكبيرة التى من شأن زعزعتها - أى هذه المفردة - أن يهد الكثير من المبانى العقائدية والتشريعية الأساسية التى تعتمد عليها مدرسة أهل البيت (ع)، ولهذا فإننا على الرغم من أننا تحدثنا عنها بشكل مجمل جدا فى بحثنا السابق [۱] ، إلا أننا وجدنا أن من الضرورة بمكان أن نفصل فيها الحديث بشكل مستقل، خصوصا وأننا وجدنا فى الأيام الأخيرة تركيزا كبيرا على إرداف فكرة التحريف بمصاديق كثيرة، لا تتوقف عند افتعال سجال كلامى يستهدف مقامات شأنية أهل البيت (ع) التفصيلية فحسب، وإنما من شأنها أن تؤثر على مساحات أساسية فى البنية العقائدية والتشريعية التى يقوم عليها هيكل مدرسة أهل البيت (ع). ولست هنا فى مقام الحديث عن تلكم الأهداف، [صفحه ۹] فهى ليست مهمتنا الحصرية هنا، ولكن لا بد من الإلماح إلى محورين أساسيين فى هذا المجال هما: أولهما: إن هذه المفردة التى استهدفتها التحريفية الجديدة بمعية جملة كبيرة من المفردات التى تشترك جميعها فى كونها مورد حديث مستفيض فى الحديث الصحيح الصادر عن المعصوم عليه السلام [۲] ، وإذا ما كان [صفحه ۱۰] ذلك صحيحا - وهو صحيح كما سنرى بعد ذلك هذا البحث وغيره [۳] - فإن من السذاجة القول بأن المقصود هو نفس هذه المفردات دون أن تمتد لتطال مصداقية رواية أهل البيت (ع)، وجعل هذه الرواية [۴] مورد تجاذب عنها من أجل تمرير التفاسير الأخرى التى تتجاوز تفسير المعصومين (ع). وهذا بدوره - إن مر - سيؤدى بالضرورة إلى إخراج سنة المعصومين (ع) من مجالات النص المقدس، وبالتالى حذفها من مصادر التشريع الإسلامى، سيما إذا ما لاحظنا ذلك ضمن الجو الملغم - إذا صح التعبير - فى حديث أهل التحريف عن موضوعات [صفحه ۱۱] العصمة [۵] . وعلم الإمام وما إلى ذلك!! وإلا فأى معنى يمكن أن نستوحيه من موقف شخص تقول له بأن الإمام (ع) يقول كذا، وهو يقول نعم، ولكن أنا أقول غير ذلك!!.. فتدبر. وثانيهما: من المعلوم أن الوجدان الشيعى المبتنى على الحب المتميز والمودة الخالصة لأهل البيت (ع)، إنما نشأ، فلأسباب أغلبها يعود إلى طبيعة معرفية خاصة بالمواصفات الذاتية والموضوعية لشخصية الأئمة (ع) مرة فى جانب مناقبياتهم السامية، ومزاياهم السامقة، وأخرى فى ظلاماتهم المأساوية وطبيعة ما جرى عليهم (روحى فداهم)، ومن ذى وذا كون الوجدان الشيعى بنيته التى كان لها أكبر الأثر فى بلورة طموحاته وآماله فى العدالة والكرامة، وبالتالى كان لها أكبر الأثر فى دفع مسيرة أهل البيت (ع) إلى مراحل متقدمة بصورة لم تفلح معها كل مجابهات الظلمة ومواجهاتهم ضدها وضد أنصارها على مدى العصور، [صفحه ۱۲] ولم

تقف فى قبالها كل إجراءات القمع الأمنى والإرهاب السياسى والحرمان الاقتصادى والعزلة الفكرية وغيرها، بالرغم من كل ما تميزت به هذه الإجراءات والتدابير من قسوة وشراسة لم نعهد أى تيار فكرى أخر أن تعرض لها، وهى على الرغم من كل ذلك لم تنحن، ولن تصخ سمعا لهذه الضغوط، وليس هذا فحسب، وإنما راح الوجدان الشيعى المتوقد يعطى لإرادة السائرين كل الزخم الذى يحتاجون إليه، بشكل حول التشيع أخيرا إلى الهاجس المرعب الذى تخشاه كل التيارات الطاغوتية حاكمة كانت أم محكومة، علمانية كانت أم دينية، إسلامية [۶] أم مسيحية أو يهودية أو بوذية. وبصورة أضحى الفكر الشيعى منارا لكل دعاة التحرر من القهر والاستعباد. والتساؤل الذى لا بد منه هنا هو: هل هى محض مصادفة أن تقترن إرادة التحريفية الجديدة بعملها الدؤوب من أجل تحطيم تلك الطبيعة المعرفية التى أسست أساس الوجدان الشيعى، وكذا حملتها الشرسة ضد مواقع الإثارة المركزية فى البنية الوجدانية [۷] مع الرغبة الاستكبارية [صفحه ۱۳] الحثيثة والجادة فى تفتيت وتحجيم مواقع الطاقة الحركية فى الاتجاه الإسلامى الشيعى على وجه الخصوص؟. فإن كان الواقع التحريفى على وعى لما يمكن أن تسببه أفكاره - بغض النظر عن الصحة والخطأ - من آثار تخريبية على هذه المسيرة، فتلك مصيبة تؤشر من جهة وبوضوح إلى مدى الإختراق الذى يمكن أن يمارسه أعداء الإسلام فى جسم الأمة بحيث أنه بجند الكثير من الطاقات الإسلامية المغررة لضرب الإسلام وتحجيم [صفحه ۱۴] حركته. ومن جهة أخرى تعطينا كل الحق فى النظر إلى تيار التحريف والتشكيك بريبة واتهام، وخصوصا وأن أغلب الأفكار والممارسات التى حاولت التحريفية أن تستهدفها هى من النمط الذى لا- يمثل أرقا فكريا أو هاجسا جدليا تعانى منه حالة النهوض بالمشروع الحضارى والإسلامى، وإنما هى فى الأعم الأغلب من جملة الموضوعات التى يصلح القول فيها أنها كانت راقدة، بحيث يمكن القول معه أن أى ضرورة فكرية أو حضارية - على خلاف مدعى أهل التحريف - لإثارة مثل هذا الجدل لم يكن لها وجود بالمرة [۸] . [صفحه ۱۶] وإن كان الواقع التحريفى لا يقصد هذا، فهو أمر وأدهى، فواقع يطرح أفكارا لها صفة التخريب الشديد فى بنية المذهب وهو لا يعلم، إنما يضع نفسه فى موضع التصرف اللا مسؤول الذى ينبغى أن يدان ويشجب!. هذا وإن كان الاتجاه العام يظهر وبوضوح تام - كما يعرب نفس القائمين على هذا التيار - أن تصرفات هذا الواقع تنم عن قصد ووعى كاملين، وهو ما نعتقد به أيضا!!. على أننا سنجد ومن خلال تحليل كلمات التحريفية جديدة فى موضوع الكتاب وغيره، أن هناك اتجاها لتأسيس فهم عجيب لآيات القرآن، أقل ما يقال عنه أنه [صفحه ۱۷] مجانب لفكر أهل البيت (ع)، فضلا عن تجنبه للتوافق مع القرآن الكريم ومعطياته، وهذا - إن مر - يؤسس بطبيعته لجملة من الموضوعات القرآنية ما يجعلها - على الأقل - تعمل ضد تكامل الشخصية الإسلامية المتصدية للمشروع الاستكبارى، فهذه الشخصية يفترض أن تتعبأ على أعلى مستويات التعبئة العقائدية، كى تستطيع أن تعى ضمن هذا المعترك الحضارى، وإذا بها على العكس من ذلك تجد نفسها قبالة مفاهيم تتلبس بلباس القرآن، ولكنها تتناقض مع الكثير من المفردات القرآنية الأخرى، بشكل تشعر معه بأن القرآن ليس هو ذاك الكتاب المنسجم مع بعضه، فى وقت تعتبر فيه أن هذا القرآن غير المتجانس هو عنوان مشروعها الحضارى المزعوم!!! وهل من غريب الصدفة - مرة أخرى - أن يتلاقى هذا الجهد مع جهود الحرب النفسية ومقتضيات الغزو الثقافى الاستكبارى الرامى لتفتيت وعى الأمة لذاتها؟!!. وأيا كان الاتجاه فإننى ألمس أثرا تخريبيا كبيرا يمكن لمثل هذه الأفكار أن تتركه على بنيتنا العقائدية والوجدانية، بصورة تضعنى أمام واجبى الشرعى للتصدى لتوضيح عقيدة أهل البيت (ع) وإزاحة ما [صفحه ۱۸] يحاول البعض إلحاق بعض الرين بها، وذلك عملا بحديث الرسول (ص): إذا ظهرت البدع فى أمتى فليظهر العالم علمه، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله [۹] . وفى رواية يونس بن عبد الرحمن (رضى الله عنه)، عن الصادقين (ع): فمن لم يفعل سلب نور الإيمان منه [۱۰] . وفى هذا البحث حاولنا أن نكتشف الأطر التى بموجبها قال أهل البيت (ع) بأنآية: (ومن عنده علم الكتاب) [۱۱] مختصة بأمير المؤمنين (ع) وهم من بعده، والتى تنكر لها ذلك البعض، موليا الاختصاص لعلماء أهل الكتاب [۱۲] وذلك تبعا لمرويات أهل العامة فى هذا المجال. وقد قسمنا الحديث فى ذلك إلى بحث تفسيرى ناقشنا فيه كل الآراء المطروحة فى هذا المجال، وإلى [صفحه ۱۹] بحث روائى يظهر تواتر رواية أهل البيت (ع) على ذلك. وباعتبار أن أصل الطرح إنما يستهدف نمط التعامل مع سنة أهل البيت (ع) فقد

أشفعنا البحث الروائى بالحديث عن منهج الاستدلال الروائى لدى التيار التحريفى، وهو المنهج الذى يشكل أحد الركائز الأساسية التى أفضت إلى ولادة تيار الانحراف!!. يبقى على أن أشير إلى هذا البحث كان فى الأصل قد ألقى على شكل محاضرات [۱۳] ضمن مباحث الإمامة التى ألقيناها على بعض الطلبة الأعزاء فى منطقة السيدة زينب (ع) بدمشق الشآم. سائلا المولى العلى القدير أن يمن علينا بمزيد من التوفيق والهداية، وأن لا يحرمنا من حسن العاقبة، [صفحه ۲۰] ويجعل هذا الجهد قرة عين لى ولوالدى بين يدى قسيم الجنة والنار وساقى الحوض يوم حشر الخلائق سيدى ومولاى أمير المؤمنين، وأن يعوض علينا بعافيته ونعيمه كل ما تحملناه وما نتحمله من معاناة وقرارات التهديد والوعيد!! وفتاوى إهدار الدم!! إنه نعم المولى ونعم المعين (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) [۱۴] وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. المهجر فى ۱۲ / ۸ / ۱۹۹۷. الشيخ جلال الدين على الصغير دمشق - السيدة زينب (ع) ص. ب ۶۲۵ [صفحه ۲۱]

الاهداء

سيدتى زينب يا بنت أمير المؤمنين أوراقى بين يديك ما هى إلا رشفة من بحر هامت فيه الأنفس فلم تجد ضالتها إلا من مكنتموه من الارتشاف من معين الولاء لكم. أوراقى غرفة من بحر ولائى لإمام الهدى الأكبر وسبيل النجاة الأقوم أقدمها إليك يا ابنة الطهر بيد مرتعشة خجلى من واقع التقصير، فإن لم أكن أهلا لأن أحظى بالقبول فأنت يا ابنة الأكرمين أهل لذلك. [صفحه ۲۵]

الشهادة فى المصطلح والمفهوم

بسم الله الرحمن الرحيم ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده الكتاب. من خلال الحديث الواسع النطاق عن الشهادة فى القرآن، تتبدى لنا الأهمية الخاصة التى أولاها القرآن للموضوع، وحسب الظاهر فإن هذه الأهمية تتعلق بكونها - أى الشهادة - لصيقة الصلة بالبنية العقائدية الإسلامية، وعندئذ فليس ثمة غرابة حينما استهدفت ثقافة التحريف هذا المفهوم، وحاولت ضمن محاولة مفضوحة أن تستبيح هذا المفهوم لتسقطه على مصاديق من شأنها أن تزيف المفهوم برمته وتخرجه عن الحدود التى أطره الله بها. ومن أجل أن نستجلى حقيقة الأمر هنا، لا بد لنا من وقفة أولى مع معنى الشهادة فى اللغة والاصطلاح. [صفحه ۲۶] يعرف الراغب الأصفهانى الشهادة والشهود بأنهما: الحضور مع المشاهدة، إما بالبصر أو بالبصيرة، لكن الشهود بالحضور المجرد - أى عن المشاهدة - أولى، والشهادة مع المشاهدة أولى..ثم أضاف قائلا: والشهادة قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصيرة أو بصر [۱۵] . وقال ابن منظور فى لسان العرب: الشهيد الذى لا يغيب عن علمه شئ، والشهيد: الحاضر، وفعيل من أبنية المبالغة فى فاعل، فإذا اعتبر العلم مطلقا فهو العليم، وإذا أضيف إلى الأمور الباطنة فهو الخبير، وإذا أضيف إلى الأمور الظاهرة فهو الشهيد، ثم قال: والشهادة خبرقاطع تقول فيه: شهد الرجل على كذا.. ثم قال: المشاهدة: المعاينة [۱۶] . ونستنتج من ذلك أن الشاهد والشهيد هو الذى حضر أمر شئ محدد، وأحاط بكل تفصيلاته علما، بحيث أنه يتمكن معه من التحدث عنه بضرس قاطع، ومن هنا أصبحت الشهادة بمثابة الحلف والقسم [۱۷] ، لأن الشاهد حيث أنه يرى الأمر المشهود رؤية الحضور، يغدو [صفحه ۲۷] حديثه عنه حديثا عن يقين، وبالتالى فهو يحلف على ما تيقن بحدوثه. ولو تابعنا الحديث القرآنى عن مفهوم الشهادة لوجدنا أنه قد عرض له فى مستويات متعددة وفى مواضع عديدة من القرآن الكريم، فمرة نجد القرآن يسمى الله [جل وعلا] بالشاهد على كل شئ كما فى قوله تعالى: (إن الله كان على كل شئ شهيدا) [۱۸] وقوله ": قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله وهو على كل شئ شهيد [" ۱۹] ، وأخرى يصفه بأنه هو الذى يولى دور الشهادة لعباده كما فى قوله تعالى ": يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا [" ۲۰] ، والآية الأخيرة فى عين تشخيصها بأن الله هو الذى يولى من يشاء من عباده أمر الشهادة، فإنها تشخص أيضا أن النبى (ص) قد أولى مهمة القيام بهذا الدور، ومن خلال الآية القرآنية التالية نستطيع أن نتصور أن هذا الدور لا يستطيع القيام به كل من هوت نفسه ذلك، وإنما هو أمر اجتبائى من قبل الله

حيث يقول الله جل وعلا ": يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا [صفحه ۲۸] الخير لعلكم تفلحون - وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير" [۲۱] . كما أننا يمكننا ومن خلال الآية الكريمة ": وإذ أخذ ربك من بنى أدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذاغافلين [" ۲۲] أن نفهم أن دور الشهادة يتعدى المفهوم التشريعى للكلمة إلى الشأن التكوينى، الأمر الذى يضفى على حساسية دور الشهادة الشئ الكثير، لما توحيه مقدار العناية الربانية وحرصها على إتمام دور الشهادة، حتى إذا ما أتمتها عللت ذلك بالقول ": أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، " ومن هذه الآية وبضع آيات أخرى كما فى قوله تعالى ": يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون [" ۲۳] وقوله تعالى ": اليوم نختم على أفواههم [صفحه ۲۹] وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون [" ۲۴] يظهر لنا أن الشهادة مطلوبة لإتمام الحجة على الناس. ومن خلال ذلك يتبين لنا أن الشاهد: هو الذى يكون عالما بشكل كامل بالشئ الذى يستدعى فيه الشهادة، وكونه عالما يستدعى أن يكون حاضرا حصول الحدث المستشهد عليه مما يعنى حياته فى وقت الحدث ويدل عليه قول عيسى بن مريم (ع) فى القرآن ": ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد [" ۲۵] ، حيث يشير عليه السلام إلى أن دور الشهادة قد انتفى منه بمجرد أن توفاه الله إليه، وهذه الآية وآية الأعراف السابقة ": وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا " تشير إلى أن دور الشهادة يستمر ما دامت الحياة، وأن يستمر هذا الدور، فإن طبيعتها تحتاج إلى عدم كتمانها، بل إن من دواعى حجية الشهادة الإفصاح عنها وإبرازها، ولهذا عبر القرآن الكريم ": ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه إثم قلبه والله بما تعملون [صفحه ۳۰] عليم [۲۶] . وطبيعة الأشياء تظهر لنا حقيقة أن الأمر المطلوب بالشهادة عليه كلما كان أكبر، كلما احتجنا إلى مواصفات عليا فى ملكات العلم والحياة والعدالة، ولئن كان أمر العلم والعدالة بينا، فإن ثمة مشكلة تبدو أمام البعض فى شأن حياة الشاهد، وهو يرقب شهادة الرسول (ص)، فمن الواضح أن الرسول قد أوكلت إليه مهمة الشهادة على أمم الأولين والآخرين لقوله تعالى ": فكيفإذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا [" ۲۷] ، وكانت من جملة أبرز مهمات نبوته الشريفة أنه قد أرسل شاهدا لقوله جل وعز ": يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا [" ۲۸] وكذا قوله تعالى ": إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم [" ۲۹] فمن الذى سيقوم بدور الشهادة من بعده على أمته؟ فها هو عيسى (ع) ما إن يتوفاه الله إليه حتى يعلن انتهاء شهادته كما فى قوله ": قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا [صفحه ۳۱] أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب - ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد [" ۳۰] خصوصا وأن الشهادة على أمة الرسول (ص) تحتاج إلى مواصفات أعلى من مواصفات الشهداء السابقين فى ملكات العدالة والعلم، وحيث أن العلم الموكل إلى رسول الله (ص) ليس هو من سنخ العلوم البشرية العادية حتى يمكن تحصيله مع الجد والاجتهاد، وإنما هو فوق العلوم البشرية، بالشكل الذى من شأنه أن يكون حاكما على كل شئ بما فيها العلوم البشرية نفسها، كما أن العدالة المطلوبة من الرسول (ص) هنا هى فى مصاف العصمة، وهذا ما يقتضى أن يكون المتمم لدور الرسول (ص) فى شهادته على أمته له من العلم ما للرسول (ص)، وله من العصمة الواجبة فى هذا المجال عين ما لدى الرسول (ص)، وحيث إن جهة الحياة لا يمكن تأمينها من خلال فرد واحد، لهذا لا بد وأن يتعلق الأمر بجهة، أفرادها يتساوون فى هذه الملاكات من حيث الأصل [۳۱] ، وهذه الجهة يمكن لها أن [صفحه ۳۲] تستمر بأداء دور الشهادة، من خلال التعاقب الحياتى. ومن خلال حقيقة أن دور الشهادة ليس بالشئ الهين الذين يمكن للقرآن أن يتجاوزه من دون توضيح، الأمر الذى يتضح معه أنه لا بد من العثور على ما يكشف هذا الغموض، وما وجدت آية تتكفل حل هذا الغموض بمجموعة كما وجدت فى آخر آية من سورة الرعد حيث يقول جل من قائل ": ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى

بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب [" ۳۲] ، ونظرا لهذه الخصوصية فقد تناولتها ثقافة التحريف على نطاق واسع بمحاولة تزييف مفهومها، وتعويم دلالاتها، وهو ما سنتحدث عنه بصورة أكثر تفصيلا فيما يأتي من حديث إن شاء الله. [صفحه ۳۵]

الشهادة في دلالاتها التفسيرية

اشاره

تتحدث الآية الكريمة عن جملة موضوعات أبرزها وجود الشاهد الذي يشهد لرسالة الرسول، وكون هذا الشاهد عنده علم الكتاب، وقد خاض مفسروا العامة جدلا محتدما حول هوية هذا الشاهد، وتبعا لذلك اختلفوا في الموقف من هوية هذا الكتاب الذي وصف هذا الشاهد بأن لديه علمه، فهل هو علم اللوح المحفوظ فيتناسب مع الكتاب المشار إليه في الآية الكريمة: الذي عنده علم من الكتاب ؟ ["۳۳] أم أن المراد به القرآن الكريم؟ أم أن المراد به هو كتب أهل الكتاب؟ وتبعا لذلك أيضا اختلفوا في أن سورة الرعد ومعها هذه الآية الكريمة، أو بمعزل عنها كانت مدنية أو مكية، وقد خاض التعصب الطائفي والمذهبي بدلوه بصورة غدت فيه بعض صفحات الحديث عن ذلك مثيرة لعجب، ومن مهمتنا هنا أن [صفحه ۳۶] نخوض في هذا الحديث كي نستجلي الصورة المطابقة للفهم القرآني. [صفحه ۳۷]

سورة الرعد مكية أم مدنية

اختلف المحدثون التفسيريون في موضع نزول سورة الرعد، فهل أنها نزلت في مكة أم في المدينة؟ وثمرة البحث في هذه المسألة هنا تتعلق في طبيعة دفاع بعض أهل التفسير من العامة عما إذا ما كان عبد الله بن سلام وأضرابه من علماء أهل الكتاب هم من عنتهم الآية بمن عنده علم الكتاب أم لا، فالذين قالوا أنها نزلت بمكة حاولوا أن يدفعوا كونها نزلت في هؤلاء، فلقد روى السيوطي عن سعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والنحاس في ناسخه، عن سعيد ابن جبير (رض) أن سئل عن قوله ": ومن عنده علم الكتاب " أو عبد الله بن سلام (رض) قال: كيف، وهذه السورة مكية. [۳۴] . وروى ابن جرير قال: حدثني المثنى قال: حدثنا الحجاج بن المنهال قال: حدثنا أبو عوانة، عن أبي بشر [صفحه ۳۸] قال: قلت لسعيد بن جبير ": ومن عنده علم الكتاب، " أو عبد الله بن سلام قال: هذه السورة مكية، فكيف يكون عبد الله بن سلام. [۳۵] . وعليه يحاول هذا الفريق الذي يقول بمكية السورة كي يخرج علماء أهل الكتاب الذين أسلموا في المدينة من أن يصدق عليهم مفهوم من عنده علم الكتاب. وعلى عكس هؤلاء نجد فريقا آخرا يقول بمكية السورة فيما خلا هذه الآية وآية أخرى نزلت بالمدينة، فلقد روى الجوزي، عن أبي صالح فيما رواه عن ابن عباس أن السورة مكية: إلاآيتين منها، قوله ": ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة إلى آخر الآية [" ۳۶] وقوله: (ويقول الذين كفروا لست مرسلا) [۳۷] في مهمة واضحة – حسب الظاهر – للرضوخ للروايات التي تقول بنزول الآية عبد الله بن سلام وأضرابه كتميم الداري [صفحه ۳۹] والجارود وسلمان الفارسي. [۳۸] . على أن أقوالا أخرى أجملت نزول السورة في المدينة كما ذكره الزركشي حيث قال: فأول ما نزلت فيها – أي المدينة – إلى أن قال: ثم محمد ثم الرعد [۳۹] . ثم استثنى من ذلك قوله تعالى ": وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب [" ۴۰] فقال: نزلت بالحديبية حين صالح النبي (ص) أهل مكة، فقال رسول الله (ص) لعلي: أكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال سهيل بن عمرو: ما نعرف الرحمن الرحيم، ولو نعلم أنك رسول الله لتابعناك، فأنزل الله تعالى ": وهم يكفرون بالرحمن " إلى قوله تعالى ":متاب [" ۴۱] ، ثم استثنى من ذلك قوله تعالى ": ولو أن قرآنا سيرت به [صفحه ۴۰] الجبال إلى قوله تعالى:جميعا [۴۲] . وقد نقل السيوطي عن ابن الضريس وأبي عبيد كل في كتابه (فضائل القرآن) وكذا عن أبي بكر بن الأنباري قولهم بنزولها في المدينة [۴۳] . ونقل عن أبي الشيخ، وابن مردويه، عن ابن عباس، وعن ابن مردويه، عن ابن الزبير

أنها مدنية، وعن ابن المنذر، وابن الشيخ، عن قتادة أنها مدينة إلا آية مكية ": ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة. [" ۴۴] . وقال الجوزى: واختلفوا فى نزولها على قولين: والثانى: أنها مدنية، رواه عطاء الخراسانى، عن ابن عباس، وبه قال جابر بن زيد، وروى عن ابن عباس أنها مدنية، إلا آيتين نزلتا بمكة الخ. ونقل الطبرسى فيما نقله من أقوال العامة عن الحسن البصرى وعكرمة وقتادة قولهم أنها مدنية إلا آيتين نزلتا بمكة ولو أن قرآنا سيرت به الجبال " وما بعدها. [۴۵] . [صفحه ۴۱] وعلى أى حال فإن جميع من قال بنزول آية ": ومن عنده علم الكتاب " بحق علماء أهل الكتاب، أو قال بكون الكتاب المشار إليه فى الآية إنما هو كتاب أهل الكتاب، فقد قال بنزولها فى المدينة، لأنه لا يعقل أن تنزل فى مكة وأولئك إنما أسلموا فى المدينة. وعلى خلاف هؤلاء فقد قال جمع من المفسرين بنزولها فى مكة حيث روى السيوطى عن النحاس فى ناسخه، عن ابن عباس، وعن سعيد بن منصور، عن سعيد بن جبير كونها نزلت فيمكة. [۴۶] . ونقل عن أبى الحسن بن الحصار فى كتابه الناسخ والمنسوخ قوله فى قصيدة مطلعها: يا سائلى عن كتاب الله مجتهدا وعن ترتيب ما يتلى من السور إلى أن يقول: هذا الذى اتفقت فيه الرواة له وقد تعارضت الأخبار فى أخر الرعد مختلف فيها متى نزلت وأكثر الناس قالوا الرعد كالقمر [صفحه ۴۲] وانتهى السيوطى بعد ذلك إلى القول: والذى يجمع به بين الاختلاف أنها مكية إلا آياتمنها [۴۷] . ونقل الجوزى عن على بن أبى طلحة، عن ابن عباس كونها مكية قال: وبه قال الحسن وسعيد بن جبير وعطاء وقتادة، وروى أبو صالح عن ابن عباس أنها مكية إلا آيتين منها. [۴۸] . ونقل الطبرسى فى نقله أقوال العامة عن ابن عباس وعطاء قولهم بمكيتها، وعن الكلبى ومقاتل قولهم بذلك باستثناء آخر آية منها نزلت فى عبد الله بن سلام. [۴۹] . ونقل الآلوسى من طريق مجاهد عن ابن عباس، كونها مكية أيضا. [۵۰] . ولكن العلامة الطباطبائى (رضوان الله تعالى عليه) أكد على مكية السورة فقال: والسورة مكية كلها على ما يدل عليه سياق آياتها، وما تشتمل عليه من المضامين، ونقل عن بعضهم أنها مكية إلا آخر آية منها فإنها نزلت [صفحه ۴۳] بالمدينة فى عبد الله بن سلام، وعزى ذلك إلى الكلبى ومقاتل، ويدفعه أن مختتم السورة قوبل بها ما فى مفتتحا من قوله ": والذى أنزل إليك من ربك الحق. [" ۵۱] . ولا يكاد بالإمكان أن يخرج المدقق فى تفاسير العامة بقول قاطع بجمع هذه المتعارضات، إلا أنه من الواضح أن الصفة المكية تلوح عليها أكثر من الصفة المدنية، كما فى حديثه تعالى الكثير عن الذين كفروا، وتركيزه بالتبع إلى ذلك على الحديث العقائدى المرتبط بهم، وهى حالة تمت فى الغالب فى مكة، إلا أن بضعة آيات منها قد تلوح عليه هو الآخر الصفة المدنية كما فى الآيات ۲۲، ۳۱، ۳۶.وعلى الرغم من تفسيره الكتاب بكونه كتاب أهل الكتاب أى علوم التوراة والإنجيل، [۵۲] مما يقتضى على الأقل مدنية الآية، إلا أن محمد حسين فضل الله ظل مترددا فى الطبعة الأولى من كتابه (من وحى القرآن) فى موضع نزول الآية. [۵۳] . وبقدر تعلق الأمر بمبحث الكتاب فإن تحديد مكية [صفحه ۴۴] أو مدنية الآية لا يغدو بذى بال، [۵۴] . طالما أن مسألة من عنده علم الكتاب، وكذا مسألة هوية الكتاب يمكن حلها قرآنيا بالصورة التى تخرجها عن إطار تخرصات العلوم البشرية وأهواء المناهج التحريفية، كما سيتضح ذلك فى مطاوى الحديث. [صفحه ۴۵]

اى شاهد و أى شهادة

ليس من العسير ملاحظة أن أحد المهمات الكبرى التى أوكلت إلى رسول الله (ص) هى كونه مرسلا كشاهد من السماء على العالمين وهو يحكيه قوله تعالى ": يا أيها النبى إنا أرسلناكشاهدا ومبشرا ونذيرا [" ۵۵] وكذا قوله تعالى ": إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا [" ۵۶] وأيضا قوله تعالى ": إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم [" ۵۷] ، وإزاء هذه المهمة الكبرى لا بد لنا وأن نتساءل بجدية ومسؤولية عما إذا كانت هذه المهمة قد استوفت أغراضها فى حياة الرسول (ص) بحيث أن الشارع المقدس لم يعد بحاجة لأحد كى يقوم بهذه المهمة بعد وفاته (ص)، أم أن الأمر ليس بهذه السذاجة بحيث أن الشهادة تنتفى بمجرد وفاة الرسول (ص)، وإنما لا بد من وجود من يتم هذا الدور بعد وفاته (بأبى وأمى)؟. [صفحه ۴۶] ولو رجعنا للغايات الإلهية التى تقف وراء الشهادة والتى تشير إليها الآيات القرآنية الكريمة ": وإذ أخذ ربك من بنى أدم من ظهورهم ذريتهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم

القيامة إنا كنا عن هذا غافلين. [" ۵۸] . لوجدنا أن طبيعة إلقاء الحجة الربانية كاملة على بنى آدم لا تتوقف عند قوم دون آخرين، وإنما يجب سريانها على جميع الأقوام والأمم , وذلك لأن هذه الغاية رافقت البنية التكوينية لبنى آدم، ولذا فإن من الطبيعى بمكان أن يتلازم بقاء الجنس البشرى، مع بقاء هذه الحجة، وإن انتفاء أحدهما يستلزم انتفاء الثانى لاستحالة أن يقال أن الإرادة الربانية إرادة عباثة فى مخلوقاتها. ولا أعتقد أن ثمة عسر فى الوصول إلى تلازم آخر، وهو تلازم أمر الشهادة مع وجود المعاينة، فليس من معنى للشهادة بمعزل عن أن يكون الشاهد معاينا لما سيشهد به , ومع هذا الحال يتبدى للوهلة الأولى أن ثمة تناقض بين هذا المفهوم، وبين مفاد الآيات التى أشارت إلى شاهدية الرسول، وقد أشير إلى هذه الشاهدية بمعنى مطلق، الأمر الذى يعنى أن شهادة الرسول لا تتوقف عند زمانه فحسب، بل هى تمتد إلى ما بعد زمانه الشريف [صفحه ۴۷] بالمصاف مع إنذاره وبشارته (ص). ولا يمكن حل هذا التناقض إلا من خلال القول بأن الشهادة دور ومهمة، وهذه المهمة يمكن أن توكل إلى وكيل هو كالأصيل فى إتمام هذا الدور، نتيجة لتحقق خصائص ومواصفات الشهادة هى شخصيته، وهذا ما يلتقى أيضا مع جملة من الآيات القرآنية التى أشارت إلى وجود شهادات سابقة لحياة الرسول (ص) كما فى الآية الكريمة ": فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا [" ۵۹] ، وكذا فى قوله تعالى ": ويوم نبعث فى كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء [" ۶۰] وهما يشيران وبوضوح إلى وجود شهادة لأنبياء ورسل وأوصياء الأمم , واعتبار الرسول (ص) الشاهد على هؤلاء جميعا، وحيث أن الرسول لم يكن حاضرا فى حياة تلك الأمم، لهذا لا يمكن فهم هذا الآيات إلا من خلال اعتبار شهادات الأنبياء (ع) فى طول شهادته (ص) أى هى شهادات وكلاء تتجمع لدى الوكيل الأصيل، وهذه الأخيرة - أى شهادته على الأمم السابقة - والتى تلتقى مع مفهوم كونه سيد الأنبياء والمرسلين، تستلزم [صفحه ۴۸] أن يستمر دور الشهادة إلى الأمم اللاحقة لحياة الرسول (ص) فهو شاهد على جميع الأمم وهذا ما يلتقى مع مفهوم نظرية النص الإلهى التى تعتمدها الإمامية، [۶۱] والتى تعنى استمرار دور شاهدية الرسول (ص) من خلال شهادة الأئمة (ع) على مجتمعاتهم، ومن دون ذلك فإن الحديث عن استمرارية دور الرسول فى الشهادة يغدو فارغا من محتواه، وذلك لاستلزامها لمواصفات لا يمكن أن توجد عند أحد غيرهم كما سنوضح ذلك إن شاء الله تعالى. ويخالف محمد حسين فضل الله هذا الاتجاه، ويتبنى توسيع مبدأ الشهادة ليشمل: (الطليعة الواعية المؤمنة التقية المنضبطة التى تفهم الإسلام حق الفهم وتعيه حق الوعى وتمارسه حق الممارسة وتحمله بروح رسولية رائدة إنها النخبة الواعية الموجودة فى كل زمان ومكان التى يقف الأئمة الطاهرون والعلماء الواعون [صفحه ۴۹] والأولياء الطيبون والمجاهدون العاملون الذى يحملون هذه الشهادة إلى الله لأنهم يعيشون روح الرسالة ويعيشون من خلالها الوعى لكل حياة الناس كما هو الرسول فى رسالته وفى وعيه لأمته). [۶۲] . وهو قول يشبه إلى حد بعيد قوله فى توسعة مفهوم ولاية الأمر الواردة فى الآية الكريمة ": ياأيها الذين أمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم [" ۶۳] ليخرجها من إطار الإمامة - كما هو نص الروايات الموثوقة فى هذا الشأن - كما سيأتى بعد ذلك - تحصر الشهادة بأهل البيت (ع) كجهة عليا ونهائية للشهادة بعد رسول الله (ص). [صفحه ۵۰] وثانيا: إن ما أدخله من مصطلحات ما هى إلا عبارات فضفاضة ومبهمة، فأى فهم هو حق الفهم؟ وأى وهذه على أى حال تحتاج إلى سقف محدد حتى يمكن إلى حدود هذه المفاهيم وإنه قد غدا مصداقا لها، وبغيرها فإنها تعدو كلمات تتسع لكل شئ، ويمكن أن يخرج منها كل شئ. وثالثا: ولا نحتاج إلى تحديد مفهوم هذه المصطلحات فقط، وإنما نحتاج إلى تحديد هوية هذه المفاهيم، فالوعى المطلوب ضمن أى صنف علمى نحتاجه، فالفهم والوعى المراد هنا إن كان فى خصوص الرسالة، فيحتاج إلى جهة تكون علامة بكل شؤونها، كى تتمكن من الشهادة عليها، وهذا ما لا يمكن لعالم أو ولى أو مجاهد الادعاء بتمكنهم منه، وذلك لأن هذه الجهة ينبغى أن يكون علمها بهذه الرسالة إما بمستوى الرسالة نفسها أو أعلى من مستواها، كى تتمكن من الشهادة، حيث لا يعقل أن نأتى بشاهد لم يحط بكل تفاصيل الرسالة، وإن كانت الممارسة المدعاة هنا تعنى السلوك، فهى الأخرى لا يمكن أن تتقبل هذه العناوين، لأن الممارسة المحقة تستدعى العصمة، وهو مما لا ينطبق [صفحه ۵۱] على هؤلاء بأى حال من الأحوال. ورابعا: إن طبيعة الشهادة تحتاج إلى مواصفات أساسية، فالشاهد ينبغى أن يكون أعلم الموجودين بشأن

ما يشهد به، وإذا كان مفاد الشهادة هو الرسالة، فلا بد إذن من أن يكون هو الأعلم بهذه الرسالة، سيما وأن بعض الآيات تتحدث عن تمكن الشاهد من الشهادة على بينات الله كما فى قوله تعال ": أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه [" ۶۴] وهذا أمر لا يمكن حصوله إلا من خلال علم استثنائى، فالرسالة إن كانت تعبر عن العلم الإلهى فى بعض صوره، فالشاهد على تبليغه يفترض أن يكون علمه فى مصافه، وأن يكون كذلك فالواجب أن يكون تلقيه لهذا العلم من معدنه، أى أن يكون من خلال الطرق التقليدية للتعليم، وهذا ما يجعل الشاهد استثنائيا فى علمه أيضا، ولن يكون هذا الشخص بهذا المستوى إلا من خلال كونه شخصا قد اصطفاه الله لذلك. والشاهد لا بد وأن يكون عادلا فى الإدلاء بشهادته بحيث أنه لا يكتمها مهما كانت الظروف، فلا بد وأن يكون [صفحه ۵۲] معصوما، إذ لا معنى لتعلق مفهوم الحجية على حضور الشاهد فى الوقت الذى لا تكون فيه عملية الإدلاء بالشهادة محسومة بشكل قطعى، ولا قطع فى هذا المجال من دون العصمة. ويتأكد كل ذلك من خلال التأمل الدقيق فى مرامى الآية الكريمة التى تتحدث عن مواصفات الشاهد حيث قال جل من قائل ": يا أيها الذين أمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون، وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير" [۶۵] فما أشار إليه سبحانه وتعالى هنا إنما هو الصورة الفضلى لهذه الأعمال، فليس الركوع هنا أى ركوع، وليس السجود هنا أى سجود، وليست العبادة آية عبادة، وإنما هى صورة فى بعدها المطلق، ومما لا شك فيه أن هذه الصورة لا يمكن تحققها، إلا من خلال العصمة. على أن ملكة العدالة والعلم فى هذا المجال لا [صفحه ۵۳] تكفى وحدها، وإنما لا بد من أن يكون لدى الشاهد قابلية الشهادة من حيث الاستعداد لحمل عبئها من جهة، والإحاطة بساحات الشهادة وأدائها (أماكن وأزمان) من جهة أخرى، فهذا القرآن يحدثنا عن أن زمن الشهادة العامة لا يسمح لكل أحد بالقيام بها كما فى قوله تعالى ": يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من آذن له الرحمن وقال صوابا [" ۶۶] ، وقول الصواب المطلق كما ترى يستلزم من الشخص أن يكون بمؤهلات عالية عند الله، بحيث يدعه يتكلم فى يوم أوصف بأوصاف رهيبة من جملتها ما وصفته الآية الكريمة ": يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ["۶۷] ، وهذه المواصفات أقلها أن من لم يكن مطمئنا على نجاته يومئذ، فهو فى شغل عن الشهادة على نفسه ولها، فضلا عن الشهادة على غيره وله، وهذا الأمر هو الآخر يدلنا مرة أخرى على ضرورة أن يكون الشاهد معصوما على [صفحه ۵۴] الأقل، [۶۸] بحيث أنه يقدر – نتيجة لاطمئنانه – أن يشهد حينما يدعى للشهادة. على أن هذه الأهلية إن لم تلتزم بوجوب تمتع بمواصفات استثنائية خاصة، وتصطدم أيضا بالشهادة على عوالم الجن، وهؤلاء يدخلون فى مقتضياتها، لتحقق الطلب الإلهى منهم بالعبادة، مما يستلزم الثواب العقاب، ومعها يصبح وجود الشاهد عليهم واجبا، ولكونهم أمم أمثالكم، وكذا الشهادة على عالم الملائكة بما فيهم ملائكة الوحى، فضلا عن الملائكة الكاتبين لأن الملائكة أمة من الأمم، وهذه تدخل فى مفاد قوله تعالى ": فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) " فأين كل ذلك من فرضية النخبة والطليعة الواعية؟!. [۶۹] . [صفحه ۵۵] وأخيرا فإنى أعتقد أن الآية الكريمة ": ومن يطع الله والرسول فاؤلئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا" [۷۰] كفيلة بتبيان الفارق بين الشهداء وغيرهم من أصحاب الكفاءات التى أشار إليهم صاحب الشبهة، فعلى أحسن التقادير تكون النخبة والطليعة الواعية وأصحاب الجهاد والعمل هم من درجة الصالحين، وهى درجة دون درجة الشهداء مما يجعلهم يمتازون الواحد عن الآخر. فلا تغفل. وإذا ما كان الشاهد يحتاج إلى مواصفات من هذا القبيل، فإن من العبث بمكان أن نفتش عن شهود لا يمتلكون مواصفات الشهادة فى حدودها الدنيا، فكيف بما [صفحه ۵۶] يفوقها، خصوصا إذا ما كان الحديث يخلو من الدليل الشرعى المتوازن، المنسجم مع بقية الآيات القرآنية، والمدعوم بالسنة الصحيحة الصادرة عن المعصوم (عليه السلام)، وهو الأمر الذى عمد إليه أهل التفسير والحديث من المدارس المخالفة لمدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، وذلك لذودها عن أمير المؤمنين (عليه السلام)

وأولاده من الأئمة الطاهرين (عليهم السلام)، وتابعهم على ذلك محمد حسين فضل الله فى كتابات وأحاديث متعددة صدرت عنه قديما وحديثا. ومن شأن التأمل الدقيق فى مفاد آية الرعد مورد البحث أن يجعلنا نسلط الضوء بشكل حاسم على كل ما أشرنا إليه من أمور، ونعى طبيعة المنهج الذى يعتمدونه من أجل سوق الأمة باتجاه فهم قرانى أبتر، تتعوم فيه المفاهيم، وتبهم المصاديق، ليمكن بالتالى تسخير القرآن للمآرب الطائفية والمذهبى، وإيجاد وعى تسطيحى قد تراه يمتاز بكمال الدقة فى إملائيات القرآن، ولكنه أمى فى فهم مفاهيمه. وهذا التأمل هو ما سنحاول إثارته فى الأسطر القادمة إن شاء الله تعالى. [صفحه ۵۷]

الآية فى دلالاتها التفسيرية

للمفسرين العامة اتجاهات متعددة للتعرض للآية، وإن كان المبنى الرئيسى لهم هو الحصول على موقف مناسب من العنوان الضخم الذى حددته الآية بوجود من " عنده علم الكتب " هو عنوان يمكن أن يقدم إغراءات كثيرة فى أى صراع مذهبى، وبالتالى فإن أى صراع مذهبى لا يمكنه التنصل من مصداق هذه الآية، ولهذا قد نجد بعض أهل التفسير يمارسون من التعسف فى تطويع مراد الآية بشكل قد يقترب من مقولة الإعراب على طريقة: (منصوب وعلامة جره الضمة الظاهرة أوله!) وذلك للإشارة إلى حجم التخبط الذى يعترى مقولة بعضهم، وعملا بمنهجنا المعتاد فسنحاول هنا أن نسلط الضوء على اتجاهات المفسرين ونخضعها للنقد، فما وافق الحق فالحق أحق بأن يتبع، وما خالفه فما أولانا بمخالفته والأعراض عنه، والله الموفق المسدد لطريق الصواب. [صفحه ۵۸] الاتجاهات التفسيرية تنحو إتجاهات التفسير إلى تحديد ثلاثة مسارات لتفسير الآية، وهذه المسارات هى:

هل هو شاهد واحد

أ - يصر الاتجاه الأول على اعتبار الشاهد فى الآية واحدا، أى أنه الله جل وعلا، وأصحاب هذا الاتجاه ينقسمون بشكل عام إلى ثلاثة أقسام: أولهما: من يفسر الآية بعبارة: من عند الله علم الكتاب، وهو ما رواه غير واحد من مفسرى العامة، فلقد روى الطبرى ذلك عن ابن عباس، [۷۱] ومجاهد، [صفحه ۵۹] والحسن، وسعيد بن جبير، وهارون، والضحاك بن مزاحم [۷۲] وتابعه الجوزى فيما رواه عن مجاهد والحسن، [۷۳] وتابعهما السيوطى على ذلك غير أنه أضاف أسماء كل من عمر وابنه عبد الله [۷۴] . وقد نقل الرازى عن الزجاج قوله مستدلا: الأشبه أن الله لا يستشهد على صحة حكمه بغيره. [۷۵] . وثانيهما: من يفسر الآية بالقراءة الشاذة: (من عند علم الكتاب) وقد رووها عن مجاهد،وقال الجوزى: اختاره الزجاج، وهى قراءة ابن السميفع وابن أبى عبلة ومجاهد وأبى حياة. [۷۶] . وثالثهما: من يفسر الآية بقراءة شاذة أخرى تروى [صفحه ۶۰] عن الحسن البصرى هى: (من عنده علم الكتاب). [۷۷] . ولكن هذا الاتجاه الذى حاول أن يتنصل من مقولة علماء الكتاب فقال بكون السورة مكية، ومن أجل أن يبعد عقيدة الإمامية فى هذا الشأن حاول أن يلغى وجود شاهد أخر على رسالة الرسول (ص)، ولكن محاولاته هذه لم تمنعه من أن يسقط أسير تعسفاته فاعتمد قراءات شاذة لا يعول عليها، بل وحاول تسهيل الصعب وتصعيب السهل. فهو استساغ أن تعطف الذات وصفتها على نفس الذات، وهو قبيح فى اللغة، واستصعب أن يستشهد الله بغيره على صحة حكمه، كما أشار الزجاج، فيما نجد أن القرآن يقدم العديد من الشواهد على جواز ذلك. وتبيانه إنه على تقدير صحة هذا الاتجاه نكون قد [صفحه ۶۱] عطفنا الله الموصوف بالشهادة على الله مرة أخرى، ليكون تقديره هكذا: الله الشاهد والله، وهو مما لا يستقيم بلاغة فى اللغة، فكيف بأبلغ الكلام؟ ولهذا تجد الرازى يعترض فيقول: وهذا القول مشكل، لأن عطف الصفة على الموصوف، وإن كان جائزا فى الجملة، إلا أنه خلاف الأصل، لا يقال: شهد بهذا زيد والفقيه، بل يقال: شهد به زيد الفقيه. [۷۸] . وقد علق العلامة الطباطبائى على ذلك بقوله: وهو قبيح غير جائز فى الفصيح، ولذلك ترى الزمخشرى لما نقل فى الكشاف هذا القول عن الحسن بقوله: وعن الحسن لا- والله ما يعنى إلا الله قال بعده: والمعنى كفى بالذى يستحق العبادة، وبالذى لا- يعلم علم ما فى اللوح إلا هو شهيدا بينى وبينكم. انتهى [۷۹] فاحتال إلى تصحيحه بتبديل لفظة الجلالة (الله) من (الذى

يستحق العبادة) وتبديل (من) من (الذى)، ليعود المعطوف والمعطوف [صفحه ۶۲] عليه وصفين، فيكون فى معنى عطف أحد وصفى الذات على الآخر، وإناطة الحكم بالذات بما له من الوصفين كدخالتهما فيه.. فافهم ذلك، لكن من المعلوم أن تبديل لفظ من لفظ، يستقيم إفادته لمعنى لا- يوجب استقامة ذلك فى اللفظ الأول وإلا لبطلت أحكام الألفاظ. [۸۰] . أما قولهم بأن الله لا يستشهد بغيره على صحة حكمه، فلعمرى ها هو القرآن يقدم الكثير من الشواهد على خلاف ذلك كما ترى فى قوله تعالى ": إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما - رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما - لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا [" ۸۱] . ولذلك ترى الرازى يستبعد هذا المعنى فيقول معقبا على ذلك: لما جاز أن يقسم الله تعالى على صدق قوله [صفحه ۶۳] بقوله ": والتين والزيتون [" ۸۲] فأى امتناع فيما ذكره الزجاج. [۸۳] . وكيفما يكن فإن من الواضح جدا أن هذا الاتجاه قد استغرق فى البعد عن ظاهر مؤديات العطف، وما لم توجد قرينة قاطعة لا- يمكن حمل الظاهر على خلافه، على أن الأغلب من هؤلاء، قد علل اللجوء إلى ذلك بسبب عدم إمكانية تصورهم بوجود من له علم بشؤون اللوح المحفوظ بالإطلاق الذى تشير إليه الآية الكريمة، فى الوقت الذى نفوا فيه أن يكون علماء الكتاب هم أصحاب الآية، وستقف بعد ذلك على أن هذه الإمكانية موجودة، وبالتالى فلا مجال لكل هذا التعسف. [صفحه ۶۴]

هل الشاهد علماء أهل الكتاب

ب - أما الاتجاه الثانى: فهو ما يعمد إليه العديد من المفسرين من العامة، وينضم إليهم التحريفيون المعاصرون، ويبلور هذا الاتجاه أفكاره من خلال ادعاء أن المقصود فى هذه الآية هم علماء أهل الكتاب من الذين أسلموا على يد رسول الله (ص) كسلمان الفارسى وتميم الدارى والجارود وابن يامين وعبد الله بن سلام وغيرهم، وأغلب حديث هؤلاء ينصب على ذكر عبد الله ابن سلام بعنوانه: (من عنده علم الكتاب) ولدى هؤلاء يكون الكتاب الذى تحدثت عنه الآية هو كتاب أهل الكتاب من توراة وإنجيل وما إلى ذلك. فلقد روى المعنى الطبرى، عن عبد الله بن سلام، وابن عباس، وقتادة [۸۴] ، وأضاف الجوزى إلى ذلك الحسن، وعكرمة، وابن زيد، وابن [صفحه ۶۵] السائب، ومقاتل، وشمر، [۸۵] وتابعهم السيوطى فيما رووه إلا أنه أضاف جندب. [۸۶] . وقد تابع محمد حسين فضل الله هؤلاء فيما حدثوا به فقال تعقيبا على سؤال فى هذا الصدد: هناك رواية [۸۷] تقول إنه على (ع)، وهناك روايات [۸۸] تنطلق من سياق الآية أى أن النبى (ص) كان يستشهد بالأشخاص الذين يملكون علم الكتاب حتى يعرفوا المسلمين النبى (ص) مذكور فى التوراة والإنجيل ولعله هو الأقرب لأن الإمام (ع) كان مع النبى فكيف يستشهد به وهم لا- يقرون علمه. [۸۹] . وحينما سئل عن المقصود بهذه الآية حسب [صفحه ۶۶] (الرواية الموثوقة عن أهل البيت) أعاد نفس القول الأول مع بعض التوضيح ننقله بالنص: هناك رواية تقول بأن المقصود به هو على (ع) باعتبار أنه يملك علم الكتاب، ولكن الظاهر [۹۰] من الآية أنها تتحدث عن أهل الكتاب الذين يعلمون الكتاب، والوجه فى ذلك أن النبى كان فى مقام الاحتجاج عليهم بما يكون حجة عليهم، والإمام على (ع) هو تلميذ النبى (ص) لذلك فالآية من قبيل " فسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون [" ۹۱] . بالبينات، ذلك [صفحه ۶۸] لأن القرآن كان يتحداهم بأن يظهروا التوراة، وكان يتحدث عن أهل الكتاب وعلماء أهل الكتاب الذين كانوا يعلمون الكتاب، فالرواية بحسب ظاهر السياق القرآنى يراد فيها علماء أهل الكتاب. [۹۲] . ولمناقشة واقع دلالة الآية الكريمة، تارة سنناقش أى الدلالات هى الصادقة فى الانسجام مع القرائن العامة قرآنية كانت أو حديثية، وأخرى سنناقش التبرير الذى قدمه محمد حسين فضل الله، ولم أطلع فيما لدى من كتب تفسير وعقائد العامة على أحد قدم مثل هذا التبرير. [صفحه ۶۹] ونحن من خلال تأمل حقيقة الشهادة المطلوبة فى الآية يلفت إنتباهنا حقيقة أن الشهادة المطلوبة تتعلق برسالة الرسول (ص)، لقوله ": لست مرسلا " وكذا أن الشاهد المطلوب مقطوع بعدالة شهادته بحيث أن الله سبحانه يعبر عن الكفاية التامة لشهادته، والمعبر عنها بقوله ": قل كفى " هذا علاوة على أن الشاهد مقطوع بعلمه

المطلق بشؤون الشهادة بحيث أنه قرن شهادة الشاهد بشهادة الله، حيث عطف شهادته على شهادة الله لقوله ": بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب، " وهذه الأمور تجعل مهمة أهل الكتاب سالبة بانتفاء الموضوع، حيث إننا هنا نلاحظ أن الشاهد يحتاج إلى مواصفات الرسالة وشأنيتها، وحيث أن رسالة كهذه تتمثل ببنية فكرية وتشريعية وأخلاقية، وهذه البنية تلتحم التحاما كاملا مع البنية الذاتية لشخص المرسل [۹۳] فى أبعادها السلوكية [صفحه ۷۰] والوجدانية، ولهذا فلا بد، أن تجتمع لدى الشاهد البديل كل تلك المواصفات والخصائص، الأمر الذى يؤدى بالنتيجة إلى القول بأن وجود أهل الكتاب فى محل الشاهد لا موضوع له، لأن فاقد الشئ لا يعطيه. وتبيان ذلك إن الشاهد المستدعى للشهادة يفترض به أن يكون محيطا بكل ظروف القضية المدعى للشهادة بها، وحيث أن هذه القضية هى رسالة الرسول (ص) فالمفروض أن الشاهد على إحاطة تامة بهذه الرسالة، وهذا ما لا يستطيع شاهد أهل الكتاب أن يدلى بدلوه فيه، لأنها شهادة بغير علم. كما إننا نلاحظ وضوح منطق التحدى - ضمن ظاهر سياق الآية - وهذا المنطق الذى تتقدمه كلمة: (كفى) [۹۴] يشير إلى طبيعة الاطمئنان العميقة إلى شهادة [صفحه ۷۱] الشاهد المتقدم لهذه الشهادة، ولا أعلم كيف يمكن الاطمئنان إلى شهادة علماء أهل الكتاب كائنا من كانوا فى وضع من هذا القبيل! فلو فرضنا - وفرض المحال ليس بمحال - أن هؤلاء لسبب أو لآخر أخلفوا شهادتهم ولم يشهدوا، هل سيعنى ذلك أن القرآن والرسول (ص) سيبحث عن شاهد آخر غير شاهد هو دعاهم إلى الاستماع إلى شهادته؟! أم أن القرآن والرسول سيتراجعون عن أمر المحاججة لينكسروا أمام الذين كفروا؟. من البديهى أن الله لن يضع رسوله فى موضع كهذا، فهو أقرب إلى التكذيب منه إلى حد الإحراج أمام أعداء الرسالة من الذين كفروا، وكلاهما غير مقبول ضمن المنطق العقلى البسيط، فما بالك بالحكمة الإلهية البالغة وإلى هذا التفت الرازى فقال إن: إثبات النبوة بقول الواحد والاثنين مع كونهما غير معصومين عن الكذب لا يجوز. [۹۵] . وتابعه النيسابورى فقال قريبا منه: والاعتراض [۹۶] . [صفحه ۷۲] بأن إثبات النبوة بقول الواحد والاثنين معجواز الكذب على أمثالهما لكونهم غير معصومين لا يجوز. [۹۷] . ومع وجود كلمة (كفى) يغدو الأمر مستحيلا ضمن المنطق القرآنى أن يتم استدعاء غير المعصوم للشهادة بمثل هذه القاطعية فى مثل هذا الأمر البالغ الحيوية لرسالة الرسول (ص)، وبالنتيجة يضحى التحدى لا معنى له مع عدم وجود المعصوم، وإجرائه خلا ف الحكمة. فلا تغفل!. ولو كان المراد هنا - كما يشير صاحب الشبهة - أن الرسول قد استدعى شهادة هؤلاء كى شهدوا بما فى كتبهم، فهو أولا مما لا دليل عليه، فعلى أقل التقادير لا يوجد أى تخصيص يستشف منه أن المراد بالكتاب كتاب أهل الكتاب، والتذرع بالروايات الواردة من طرق العامة، مما لا يغنى ولا يشبع، حيث أنها متعارضة فيما بينها كما سنشير فى حينه، علاوة على مناقضتها بروايات أخرى. وثانيا: إن من كتم هذه الشهادة - وفق هذا المنظار - كل سنوات ما قبل الهجرة وبعدها إلى حين [صفحه ۷۳] إسلامه [۹۸] ، حرى بأن لا يدعى لشهادة من هذا القبيل، فالذى يكتم مرة، يخشى منه أن يكتم فى غيرها، وهو بالتالى غير مؤهل لخوض شهادة من هذا القبيل لها كل هذا القطع، حيث أن من المفترض أن أمثال عبد الله بن سلام وصحبه - حيثما كانوا من علماء كتبهم، وأن هذه الكتب قد حوت البشارة بمبعث الرسول (ص) - أن يسلم قبل قدوم الرسول إلى المدينة، فإن كان الاحتجاج [صفحه ۷۴] على ذلك بالقول بأن علمهم كان علما إجماليا وليس قطعيا، فإن من له علم إجمالى ومصدر العلم القطعى منه قريب، ولم يبادر لمعرفة القطع فى شأن عظيم كهذا، يكون من أهل التسامح على أقل التقادير، وهو بالنتيجة غير مؤهل للشهادة فى شأن له كل هذه الحساسية، فمن يتسامح نتيجة لغفلة أو لغيرها، يمكن له أن يتسامح فى أكثر من مرة!. وثالثا: إن هؤلاء كانوا أصحاب كتب نعتقد بأنها كانت فى زمن رسول الله (ص) محرفة، فإن كان هؤلاء من الذين كانوا يعتبرون كتبهم محرفة، فما لهم مالؤوا قومهم فى البقاء على العمل بتلك الكتب؟ ومن يكتم شهادة من هذا القبيل هل يستحق أن يستدعى لشهادة على رسالية رسول من غير قومه؟! وإن كانوا ممن لا يعلم بأن كتبهم كانت محرفة، فعلى ماذا نسميهم علماء الكتاب؟ فى حال أنهم إلى الجهل المركب أقرب منهم إلى العلم. يأتى هذا فى الوقت الذى سبق للقرآن أن تحدث مع رسول الله مرارا بأن من هؤلاء من حرف الكتاب كما فى [صفحه ۷۵] قوله سبحانه وتعالى ": من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا وأسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا فى الدين [" ۹۹] وكذا قوله ": فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم

قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم [" ۱۰۰] ، وكذا قوله ": ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا [" ۱۰۱] ، ومنهم من أن تأمنه بدينار لا يؤده إليك كما فى قوله جل من قائل ": ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا- يؤده إليك إلا- ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأمين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون [" ۱۰۲] ومنهم من يصد عن سبيل الله ويأكل أموال الناس بالباطل كما فى قوله تعالى ": فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه [صفحه ۷۶] وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين مهم عذابا أليما [" ۱۰۳] ، وكذا فى قوله تعالى ": يا أيها الذين أمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله [" ۱۰۴] . ومن الطبيعى عندئذ أن يكون الرسول (ص) - والحال هذه من التقريع الشديد على أمور لها مساس مباشر مع عدالة الشهود - أن يكون على أشد الحذر من الاحتمالات الواقعية لنكوصهم عن الشهادة، وبالنتيجة لا يجعل نفسه فى معرض الخدش المباشر لمصداقيته الرسالية، وهو الأمر الذى يخشاه الرسول بما لا يخشى غيره، فتعقل!. ورابعا: لو أن ملاك الشهادة هو شهادة أهل الكتاب أترى أن رسول الله قد أعيته كل السبل بحيث أنه لم يك له بد من أن يستشهد بكتب وعلم هؤلاء وهم على الحال المريبة التى عرفت؟ أفما كان أقرب للاطمئنان النسبى لو أن رسول الله (ص) وهو الأعلم منهم بكتبهم، أن يأتى بكتبهم، ويستخرج مواقع النصوص التى تبشر بقدومه [صفحه ۷۷] المبارك، ثم يدعوهم للشهادة على صحة النسبة وصحة البشارة؟ وفى ذلك فائدة أكبر لهم وللمسلمين ولمن كانوا فى موضع الحجاج، ناهيك عما فى ذلك من تحجيم لخطر عدم الإدلاء بالشهادة على وجهها، وهو أمر لم يفعله الرسول (ص) على أى حال. وخامسا: إن الحجاج كان فى الآية مع الذين كفروا بالمعنى المتبادر الطبيعى للفظ، فإن هؤلاء لديهم شهادة الرسول وعلماء أهل الكتاب بمصاف واحد فهم لا يؤمنون بالاثنين معا، وإما إن تكون الآية قد أرادت الذين كفروا من أهل الكتاب، فعادة ما يطلق هذا اللفظ على الحربيين من أهل الكتاب لا على مجموع أهل الكتاب لمجرد أنهم من أهل الكتاب ومثل هؤلاء لن تنفع معهم شهادة أمثال عبد الله بن سلام وتميم الدارى، فضلا عن سلمان الفارسى الذين لم يكن فى الوضع الاجتماعى المناسب الذى يمكنه من الإدلاء بشهادة عادية، فكيف بما له أهمية شهادة كهذه؟ لأن المطالبة الواقعية والبديهية من قبل المحاججين فى هذا المجال سترجع على هؤلاء، فلو أنهم كانوا قد آمنوا بما يشهدون، فما بالهم قد أخروا إسلامهم كل هذه السنوات؟. [صفحه ۷۸] وأما إن كان المراد بهم الذين كفروا من أهل الكتاب وقد استدعى الرسول (ص) من أسلم من علماء أهل الكتاب للشهادة، فهذا لن يجدى أيضا لأن شهادة هؤلاء، هى شهادة من أسلم، ومن أسلم شهادته كرسول الله (ص)، فما بال باء عبد الله بن سلام هنا تجر، وباء على ابن أبى طالب هنا لا تجر! [۱۰۵] أنبئونى بعلم إن كنتم صادقين.! وسادسا: (ألا ترى معى)! أن من له كل هذه الأهمية التى توصف بعالمية الكتاب جدير بالحضور فى محاورات الرسول (ص) ومساجلاته مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فما لنا لا نجد لهم ذكرا، خصوصا وأن الرسول (ص) قد عبر - هؤلاء عنه - بأنه كان محتاجا لشهادة أمثال أولئك؟ وهم على هذا الحال إما أنهم قد أسلموا فى أواخر حياة الرسول (ص)، وفى هذه الحال يظل إشكالنا الأول على حاله، فما لهم لم يؤمنوا من قبل ذلك وهم الذين عندهم - كما يصف فضل الله وصحبه - علم الكتاب؟ وإما أن يكونوا ممن أسلم من قبل ذلك، ولكن [صفحه ۷۹] الرسول (ص) كان مستغنيا عنهم؟ ولو كان الرسول (ص) مستغنيا عنهم، فوقت إسلامهم لا يغدو بذى بال لعدم ترتب شئ على التقدم والتأخر فى ذلك، وعندئذ (ألا نتصور معى)! أن غيابهم وحضور أمير المؤمنين (ع) فى مناظرات الرسول (ص) مع وفد نجران، ومن قبله مع قوم عبد الله بن صوريا حينما استشهده على مسألة حكم الرجم بالزانى فى التوراة بذى دلالة ومغزى هامين فى مورد تكذيب ما ادعى عليه القوم!. [صفحه ۸۰]

اميرالمؤمنين هو الذى عنده علم الكتاب

ج – لا يبقى لنا غير الاتجاه الثالث [۱۰۶] وهو القول بأن من عنده علم الكتاب هو جهة من المسلمين، ويتبقى أمامنا معرفة هذه الجهة، ونحن قبل أن نعرف ذلك لا بد لنا من رد أصل الشبهة التى أوردها محمد حسين فضل [صفحه ۸۱] الله على اختصاص الآية بأمير المؤمنين (ع) وهى أن رسول الله (ص) لا يستشهد بمثل على (ع) لأنه من صفه، وفى ذلك قال فى مقام ترجيح القول بأن من عنده علم الكتاب هو من يملك علم التوراة والإنجيل: لأن الإمام (ع) كان مع النبى (ص) فكيف يستشهدبه وهم لا يقرون علمه. [۱۰۷] . وهذه الشبهة يمكن أن تصح لو أن أمر الشهادة كان أمرا ظرفيا محدد هو زمان المحاججة المدعاة مع الذين كفروا فى عهد الرسول (ص) وبمعزل عما ذكرناه من مواصفات تستدعيها شخصية الشاهد، أما إن كان الأمر يتعلق بمبدأ قرآنى يسرى فى كل زمان، فإن هذا الأمر لا معنى له، لأن الإيحاء المبتنى على ذلك سيكون أن كتاب الله لا يمتلك الحجية بنفسه، بحيث أنه يحتاج إلى شهادة علماء غيره بحقه [۱۰۸] وهذا ما لا يقول به [صفحه ۸۲] مسلم واع، أضف إلى ذلك أن كون الآية متعلقة بمبدأ قرآنى عام، فإنها تفترض أن الشاهد حاضر دائم للشهادة، فأى حضور هذا تطمئن الآية إليه، إن كان المراد بهم علماء أهل الكتاب، وفيهم من لا تصح شهادته على (حزمة بقل) كما يقال. هذا ناهيك عن أن من وصف بعلمية الكتاب – حسب فرضية فضل الله – لا يوجد فى كل زمان، ولهذا اضطر إلى القول بأن المراد بهم هم: الطليعة الواعية المؤمنة التقية المنضبطة التى تفهم الإسلام حق الفهم. [۱۰۹] . وهنا يرتد آخر الأمر على أوله فلئن صح هنا القول بأنهم من وصفت بالطليعة الواعية المؤمنة، فما لعلى (ع) لا يصح أن يكون من جملة هؤلاء – على الأقل – فى زمن رسول الله (ص)، فلئن كانت شهادة مثله لا تصلح فى زمن رسول الله (ص) لأنه معه، أفتصلح شهادة الجمع وفيهم من هم دونه، فى زمن غيره!!. إن من المؤكد أن طلب الشهادة هنا هو من أجل إتمام الحجة، وإتمام الحجة على حقانية الرسالة، لا يكون من خلال شهادة إثبات بنعم أو لا، وإنما يحتاج إلى من [صفحه ۸۳] يمتلك العلم التفصيلى بكل شؤون الرسالة، بالصورة التى يكون الشاهد معها قادرا على دحض حجج الآخرين المضادة لهذه الرسالة، وهذا لا يمكن أن يكون إلا من خلال جهة مؤمنة بكل الرسالة، وليست بجهة وافدة من خارج الرسالة، ولهذا فإن المدعى بأن الرسول لا يأتى بمثل على للشهادة لأنه معه، قول على الأقل لا يمتلك الدليل المقنع إلا بمقدار من الاستحسانات العقلية التى لا تغنى ولا تسمن، فوفق أى مستند عقلى أو قانونى لا يتقدم للشهادة من كان الدليل القاطع على صحة قول أحد هؤلاء المتخاصمين، نعم يمكن أن تضعف شهادة هذا الشاهد إن كان دليله هو محض القول، أما فى مجال الفعل وتقديم الدليل القاطع، فلا مجال لرد شهادة هذا الشاهد، حتى وإن كان يمثل نفس أحد المتخاصمين، ومعلوم هنا أن الشهادة المطلوبة ليست شهادة التصديق أو التكذيب على وقوع أمر أو لا، وإلا ما جاء بكلمة العلم المطلق بالكتاب، حيث يكفيه فى هذا المجال كل صادق فى القول، وإنما هى شهادة على تمامية الرسالة حتى لو كانت على نحو التفصيل الممل، وهو مقتضى إلقاء الحجة على الناس، ولهذا عبر القرآن الكريم عن شهادات غاية فى التفصيل ": يوم تشهد ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما [صفحه ۸۴] كانوا يعملون [" ۱۱۰] فلو لم يكن مقتضى تمام الحجية مستدعيا للشهادات التفصيلية، لما احتاج القرآن للحديث عن ذلك، إذ يكفى المجئ بشهادات الملائكة الكاتبين على تنجيز الفعل المشهود عليه. ولهذا نجد أن القرآن الكريم لا يستبعد إمكانية أن يشهد الشهادة بمثل هذه الأمور من له سنخ هوية المشهود له، طالما أن الشاهد يمتلك الدليل القاطع والبينات اليقينية على صحة شهادته، كما نرى ذلك فى الآية القرآنية حيث يقول جل وعلا ": أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده فلا تك فى مرية منه إن الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون" [۱۱۱] . وهذه الآية لا تطرح إمكانية وجود الشاهد من سنخ هوية المشهود له، بل وتابع له فحسب، وإنما تطرح وجوده الاجتماعى أيضا، فمن الواضح أن الذى هو على بينة من ربه هو رسول الله (ص)، يتبقى علينا أن نعرف من هو هذا الذى يتلوه، ومما لا ريب فيه أن هذه الآية تلتقى [صفحه ۸۵] مع الفهم الذى أشرنا إليه من قبل بضرورة أن يكون للرسالة شاهد من بعد وفاة الرسول (ص)، وذلك لما رأينا بأن قوله تعالى ": يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا [" ۱۱۲] يشير إلى مهمة ودور لا إلى خصيصة ذاتية متعلقة برسول الله (ص) فحسب، وهذه المهمة طالما أننا فهمناها بأنها تستدعى الحضور الوجودى، بما وجدناه من آية عيسى (ع "): وكنت

عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد [" ۱۱۳] والتى تشير إلى استلزام حياة الشاهد، الأمر الذى يحتم وجود الشاهد بعد حياة رسول الله (ص) يكمل دور الرسول ويؤدى إليه الشاهد كما أدت الأمم السالفة عبر أنبيائهم (ع) الشهادة لرسول الله، وهذه الأمر يطرحه الفهم القرآنى مرة بصورة الأمة الوسط كما فى قوله تعالى ": وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا [" ۱۱۴] ، وأخرى بصورة خصائص ومواصفات هذه الأمة الوسط بالصورة التى عرضت له الآيتين الكريمتين ": يا أيها الذين أمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم [صفحه ۸۶] وافعلوا الخير لعلكم تفلحون - وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل فى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلوات وأتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير [" ۱۱۵] . فهذه الوسطية التى تقف بين رسول الله (ص) وسائر الناس فى مسألة الشهادة لن تكون إلا من خلال مواصفات دقيقة تقترب من مواصفات الشاهد وتتطابق معه، ولهذا كانت هذه الأمة الوسط مجتباة من قبل الله تعالى كما أشارت الآية الثانية، إذن فإنها ليست أمة بالمعنى الشعبى للموضوع، وإنما هى مجموعة مصطفاة من الأمة، عبر عنها بالأمة لأنها علم الأمة وشاخصها البارز، ولهذا عبر القرآن عن إبراهيم بأنه أمة فى قوله تعالى ": إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين [" ۱۱۶] . ونلاحظ هنا أن هذه الأمة المجتباة، قد كانت حاضرة فى وجدان إبراهيم (ع) بحيث أنه سماها وعناها باسم المسلمين، وكونها سميت بذلك فلخصائص [صفحه ۸۷] ومواصفات امتلكتها، هى التى جعلتها بالتالى تمثل الصورة العليا فى الإسلام. ومن العجيب أن بعض المفسرين يشير إلى أن لفظة المسلمين أراد بها مطلق أهل الإسلام , دون أن يلتفت إلى تقدم لفظة الذين آمنوا على لفظة المسلمين، مما يميز الكلمة هنا عن كلمة الإسلام فى سورة الحجرات ": قالت الأعراب أمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم [" ۱۱۷] فهنا تقدم الإسلام على الإيمان لأنه إسلام كل الناس، ولذلك نهى من ادعاء الإيمان، أما فى هذه الآية فنحن نرى العكس حيث تقدم لفظ الإيمان على الإسلام، مما يجعل هذه الصفوة تمثل عصارة الإسلام. ولولا حظنا بقية المواصفات بدقة لرأينا أن هؤلاء من أهل العصمة، وذلك لما أشير هنا إلى مواصفات مطلقة، وإذا ما كان وسط الشئ يعنى أفضله كما يقول صاحب اللسان حيث يعقب: ومنه الحديث: خيار الأمور أوساطها. [۱۱۸] إذن لا بد وأن يكون ركوع هذه الأمة وسجودها وعبادتها وفعلها للخير، ثم جهادها وإقامتها [صفحه ۸۸] للصلاة وإيتاؤها للزكاة واعتصامها بالله يكون من أفضل أنواع السجود والركوع والعبادة، بحيث يكون الله مولاهم، على نحو مطلق لذلك عبر عنه بأنه نعم المولى ونعم النصير، وهذا ما لا يمكن تصوره منفكا عن وجود العصمة، خصوصا وأنها تبلغ مرحلة لا تمثل فيها أى مسألة دينية مهما بلغت فى صعوبتها أو تدانت فى دقتها لتمثل لهم حرجا، وهذا ما يجرنا إلى القول بأن وسطية كهذه تفترض فيهم العالمية، وهذا يرجع آخر الأمر إلى أوله، أى أننا لما أشرنا من قبل إلى مواصفات الشاهد الذى يحتاجه الرسول (ص) للشهادة على رساليته، وكونه لا بد وأن يكون عالما بما سيشهد به، ووجوب أن يكون معصوما كى لا يكتم الشهادة، جاءت هذه الآية للتحدث عن وجود جهة مشخصة لها وجودها الاجتماعى والتأريخى، وضعت كوسيطة بين شهادة الناس وشهادة الرسول (ص)، وحيث أن من يختصه الرسول (ص) للشهادة دون سائر الناس يكون أمثل الناس بطريقة الرسول (ص)، إذن فلا بد أن نعثر على هذا الوجود بالقرب من رسول الله (ص)، لا أن نستبعده عنه، كما أراد فضل الله حينما أبعد عليا عنه بدعوى أن الرسول لن يأتى بشاهد منه. فتأمل. [صفحه ۸۹]

اى كتاب.. و أى علم

ونحن قبل أن نفتش عن هوية هذا الوجود التأريخى، لا بد وأن نتوقف فى محطة أخرى من محطات الآية الكريمة، فطالما أننا استبعدنا فى المبحث السابق أن يكون الكتاب، كتاب أهل الكتاب، فعن أى كتاب تتحدث هذه الآية إذن؟. ومن شأن تشخيص هوية الكتاب أن نستدل على طبيعة العلم الذى يمتلكه من عنده علم هذا الكتاب، وقد دار الجدل بعد دحض نظرية كون الكتاب، كتاب أهل

الكتاب حول اتجاهين، فاتجاه ذهب إلى أن المقصود بالكتاب هو اللوح المحفوظ المدونة فيه أسرار عالم الملكوت، ويتقوى هذا الاتجاه بوصف آصف بن برخيا (ع) فى القرآن حيث أشارت إليه الآية القرآنية بوصف ": قال الذى عنده علم الكتاب أنا أتيك [صفحه ۹۰] به قبل أن يرتد إليك طرفك [" ۱۱۹] حيث أن الآية التى تصور آصف بن برخيا (ع) بأنه يمتلك نمطا من أنماط الولاية التكوينية وهى من آيات علم الملكوت قد أشير إليه بأنه يمتلك بعضا من علم الكتاب لوجود (من التبعيضية) وحيث أن أشار إلى البعض فلا بد وأن يشير إلى الكل، ولهذا جاءت آية " ومن عنده علم الكتاب " للإفصاح عن هذا العالم بكل هذا العلم. وفى مقابل ذلك يتحدث الاتجاه الثانى عن أن هذا الكتاب إنما هو القرآن الكريم، وهو ماذهب إليه العلامة الطباطبائى فى تفسيره [۱۲۰] حيث يرى أن ما يؤيد هذا الفهم هو مفتتح سورة الرعد " المر تلك آيات الكتاب والذى أنزل إليك من ربك الحق [" ۱۲۱] ، ويؤكد أنه هو الشاهد على صحة الرسالة التى تضمنها باعتبار أنه ": لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد [" ۱۲۲] . وفى تصورى أن لا تعارض من حيث الجوهر بين كلا الاتجاهين، فلئن كان علم اللوح المحفوظ قد حوى [صفحه ۹۱] ما كان وما سيكون، فالقرآن فيه تبيان لكل شئ كما وصفه الله فى قوله تعالى ": ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين [" ۱۲۳] وهذه الكل شئ يمكن أن تمتد أيضا لعلم اللوح المحفوظ كما يذهب إلى ذلك البعض من المؤلفين. [۱۲۴] . وأيا كان الأمر فثمة شئ مجمع عليه وهو أن هذا العلم لن يكون علما بشريا، أى أنه لا يأتى من المسارات الطبيعية للتعلم البشرى، وإنما هو نمط من أنماط العلم الإلهى الذى لن يؤتيه الله إلا من اصطفى من عباده، فتعبيره بلفظة ": ومن عنده علم الكتاب " إنما تشير إلى الاستغراق لكل علم الكتاب، وهذا ما يجعله إما أن يكون علمه أكثر من ذلك، ففى كلا الفرضيتين يحتاج هذا المدى من العلم إلى معلم استثنائى يفوق علمه من علم، [صفحه ۹۲] وضمن أساليب استثنائية هى الأخرى بإمكانها أن تختصر الزمن اللازم للعلم، ويستلزم ذلك مخبر استثنائى بوجود هذا العلم من جهة، وبتمكن هذا الشخص منه، وهذا المخبر لن يكون علمه بالأمر العادى، وإنما ينبغى أن يكون أعلم من الذين علم الكتاب كله، وهذا لن يكون بأى حال من الأحوال من المتعلمين البشر، وإنما لا بد وأن يكون إما على تماس مباشر مع الذات الإلهية المقدسة، أو أن يكون هذا المعلم والمخبر هو نفس الذات المقدسة، وهما لا يتعارضان فيمكن للرسول (ص) أن يختص بتعليم علم ما علمه الله، إلى هذا الشخص أو الجهة، أو أن يرتبط هذا الشخص أو الجهة بآلية خاصة تمكنها مباشرة من العلم الإلهى، وكلاهما مؤيدان فى الأخبار والروايات الكثيرة. ولهذا لا يبقى أمامنا غير السنة الموثوقة لتكشف لنا عن لثام هذا الشاهد، وهو ما سنتابعه فى الفصل اللاحق إن شاء الله وما توفيقى إلا بالله. [صفحه ۹۵]

الواقع الروائى لأفكار الانحراف

اشاره

السنة المعصومة كاشفة عن محتويات الكتاب، ووظيفتها تأويل ما لم يصرح له القرآن، أى أنها هى التى تقوم بدور التخصيص لما عممه القرآن، لا كما يزعم البعض حينما يحاول أن يسلب من السنة هذا الدور، اعتمادا على منهج أصحابه حينما تنادوا فى رزية يوم الخميس: إن النبى ليهجر يكفينا كتاب الله!!. وهذا المنهج – الذى يرفضه القرآن نفسه [۱۲۵] – يحاول أن يتحدث بطريقة شعارية عن المفهوم القرآنى فيجعله حاكما على جزئيات المفاهيم الموجودة فى [صفحه ۹۶] الأحاديث، معتبرا هذا المفهوم مقياس صحة الحديث وفساده. [۱۲۶] . بل تراه يذهب إلى ما هو أكثر من ذلك حينما يرفض الحديث الصحيح المفسر للقرآن على غير طريقة التفسير الظاهرى للقرآن فيقول: إذا كان نص قرآنى وكان هناك حديث يؤول هذا النص، فالمقصود بهذا المعنى كذا غير المعنى الظاهر.. وهنا نلاحظ أن هذا النص الذى جاء ليفسر القرآن بغير ظاهره، هل يستقيم هذا التفسير مع قواعد اللغة العربية أم لا؟ هل يمكن أن يحتفظ القرآن ببلاغته مع هذا التفسير أم لا؟ لذلك ليس كل حديث نقبله ولو كان صحيحا يأتى بتفسير للقرآن غير التفسير الظاهر.

[۱۲۷] . وما من شك فى أن نفس القرآن يحكم كل شئ، ولكن حينما نجعل المفهوم القرآنى [۱۲۸] . حاكما، فإن ما [صفحه ۹۷] نحتاج إليه مسبقا هو الآلية التى بموجبها نفهم هذه المفاهيم، ونحدد أطرها، ولن نجد عندئذ غير السنة الصحيحة والموثوقة بقادرة على تحديد هذه المفاهيم، ففى القرآن محكم ومتشابه، وخاص وعام، ومقيد ومطلق، وظاهر وباطن، وهذه تحتاج إلى من يخرجها من إطار اللفظ إلى إطار المراد الإلهى، ولن يتولى هذا الأمر سوى من له ملكة التعرف على هذا المراد، وبغيره فإن ما يعبر به هو عن المفهوم القرآنى، أو الفهم القرآنى للمسائل وما إلى ذلك، لن يعدو كونه عملا من أعمال مناهج الاستحسان العقلى والمصالح المرسلة، [۱۲۹] وهو [صفحه ۹۸] منهج علاوة على كونه مرفوضا جملة وتفصيلا من قبل مدرسة أهل البيت (ع)، إلا أنه ظنى الدلالة فى أحسن الأحوال، وهذا ما يرفضه القرآن ويقرع من يستخدمه فقال جل من قائل ": إن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون [" ۱۳۰] وقوله ": وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغنى من الحق شيئا إن الله عليم بما يفعلون ["۱۳۱] وكذا قوله ": وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا [" ۱۳۲] وذلك ضمن تفصيل يراجع فى متون الكتب الأصولية. ونحن فى هذا الفصل سنحاول أن نتعرف على هوية هذا الشاهد، ومن أجل ذلك سنسير فى ثلاثة مراحل هى: أ – حقيقة المبنى الروائى الذى قام عليه تيار الانحراف عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وفى هذا [صفحه ۹۹] المجال سيكون حديثنا منصبا فى البداية على واقع روايات أهل العامة، ثم سنناقش الأسس التى اعتمدها تيار الانحراف فى إثارته العقيمة هذه. ب – وفى المرحلة الثانية سنحاول أن نتعرف على موقف السنة الشريفة من الآية الكريمة بشكل مباشر، وعندئذ سنتبين عمق الهوة التى أوجدها تيار الانحراف بينه وبين أهل البيت (ع). ج – ومن أجل أن نتعرف أكثر على هوية هذا الشاهد، لا بد وأن نتعرف على موقف السنة المعصومة من آيتى الوسط والشاهد التالى لرسول الله (ص)، فالآيتان لهما ارتباط وثيق بالمراد من آية الشهادة، ومن شروط الحديث عنهما أن ينسجم مع الحديث عن آية ": ومن عنده علم الكتاب. [" صفحه ۱۰۰]

المبنى الروائى لتحريف مراد الآية

اعتمد تيار الانحراف – حسب الظاهر – على روايات أهل العامة فى تسويق عملية التحريف التى طالت مفهوم الآية ومفادها، ورغم أن هذا الأمر بحد ذاته يكفى لتعرية المنهج والإفصاح عن بعده عن مدرسة أهل البيت (ع)، إلا إن من ضوابط العمل العلمى أن يبحث عن الحقيقة أينما كانت، ولهذا فإن من الحرى بنا أن نتبين حقيقة الروايات التى أولت عبد الله بن سلام وأضرابه مصداقية الآية، بعد أن تبينا فى الفصل السابق بعد دلالة مفهومها قرآنيا وموضوعيا على ذلك. يأخذ المتابع للمنهج الروائى فى هذا المجال الذى سار عليه أهل تفسير العامة على هؤلاء أنهم لم يرووا ما رووا عن رسول الله (ص)، وإنما كانت أغلب رواياتهم عن التابعين فيما خلا عدد قليل من الصحابة، وبالتالى فهى [صفحه ۱۰۱] لا تمثل للسنة والشيعة أدنى إلزام عملى بالعمل بمقتضى ما رووه، خصوصا وأننا سنلحظ إنهم قد يروون رواية تتعارض مع أختها أو تتضارب معها، وفى كل الأحيان يتم ذلك عن طريق راوية واحد، كما يحصل فى الروايات التى تنسب لابن عباس، فلقد رووا عن ابن عباس قوله مرة أن شاهد هذه الآية هو عبد الله بن سلام، وأخرى بأنهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وثالثة: بأنه كان يقول: ومن عند الله علم الكتاب، ونفس الأمر تلحظه فى الروايات التى رووها عن مجاهد وقتادة. وعدم الإلزام الذى نتحدث عنه بالنسبة لأهل السنة إنما سنه نفس هؤلاء الرواة، فلقد روى – فيما رووه – سعيد بن منصور عن قتادة بأنه عبد الله بن سلام، غير أنه فى موضع آخر يروى قول قتادة: كان الحسن يقرؤها: ومن عند الله علم الكتاب، ونفس الأمر فى رواية مجاهد بأنه عبد الله بن سلام غير أنه قال فى مكان آخر: هو الله هكذا قرأها الحسن. على أنه ليس من العسير على المرء أن يلاحظ فى الروايات التى اعتمدها أهل العامة فى هذا الخصوص هو الحجم الكبير من التعارض والتضارب بين الروايات التى تحدثت ضمن هذا الاتجاه، فلقد روى الطبرى – مثلا – [صفحه ۱۰۲] مرة أن الآية نزلت بحق عبد الله بن سلام، وأخرى قال هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وثالثة: رجل من الإنس ولم يسمه، ورابعة: أناس من أهل الكتاب كانوا يشهدون بالحق ويقرون به

ويعلمون أن محمدا رسول الله كما يحدث أن منهم عبد الله بن سلام، وخامسة: كان منهم عبد الله بن سلام وسلمان الفارسى وتميم الدارى. [۱۳۳] . وهذا التضارب إن لوحظ بلحاظ روايات الاتجاهات الأخرى التى ذكرتها كتب العامة تحصل على صورة أكثر إرباكا للحقيقة، خصوصا تلك الروايات التى تحدثت عن مكية السورة، والتى نفى المحدث فيها وبشدة أن تكون الآية قد نزلت بحق عبد الله بن سلام كما فى الرواية التى يرويها الطبرى والنحاس فى ناسخه بإسناده إلى أبى يسر (بشر) قال: قلت لسعيد بن جبير ": ومن عنده علم الكتاب " أهو عبد الله بن سلام؟ قال: وكيف يكون عبد الله بن سلام والسورة مكية، ثم قال النحاس معقبا: أنكر هذا سعيد بن جبير لأن السورة مكية [صفحه ۱۰۳] وعبد الله بن سلام أسلم بالمدينة. [۱۳۴] . وهذه الأمور إن لوحظ فيها اعتبار آخر، وهو أن بعض هذه الروايات مروية عن صاحب العلاقة مباشرة بالشكل الذى يجعل احتمال الكذب فيها قائما للتسالم على وجود مصلحة واضحة لرواية من هذا القبيل. أقول: لو جمعت هذه الأمور بمجموعها فإن من حق المرء أن يتساءل عن المصداقية الحقيقية – ضمن علم الرواية – لمثل هذه الأحاديث، فلا هى وردت عبر مصدر شرعى، ولا هى مأخوذة بطرق منتظمة خالية من الارتباك، ولا هى متوافقة فيما بينها، فعلام إذن يتم التعلق بهذه الروايات دون غيرها؟. ولئن كان المناط هو أخذ روايات العامة ومفارقة روايات أهل البيت (ع) فلقد روى أهل العامة أيضا بطرقهم أن الآية نزلت بحق على، فلماذا لا تؤخذ روايتهم هذه، خاصة وأنها تنسجم مع معطيات المنحى الروائى الذى ينحو إليه البعض، فأهل العامة لا مصلحة لهم فى الكذب إن قالوا بأنه على بن أبى طالب (صلوات الله [صفحه ۱۰۴] عليه). إننا نرى أن علم الحديث يقف إلى الضد من هذا الاتجاه، كما رأينا فى أبحاث الدلالة إباء انطباق القرائن الموضوعية على ما أشارت إليه هذه الروايات، فما هو الأمر الذى جعل تيار الانحراف يتجه للأخذ بمثل هذه الروايات على الرغم من وضوح ارتباكها واضطرابها؟. لكان الأمر طبيعيا لو أن رواية أهل البيت (ع) فى هذا المجال كانت منعدمة، أو أنها كانت لا تحقق ضابط الوثاقة فى الأسانيد المروية عنهم (ع)، أما مع وفرتها، واتساقها ضمن ضوابط صحة الصدور والرواية، فإن الأمر لا يحكى – ولا بأى صورة من الصور – عن انسجام تفكير تيار انحراف مع هذه المدرسة، فضلا عن أن يكون ممثلا لها!. وكان بإمكان هذا التيار الادعاء بدعوى إدخال أمثال المغيرة بن سعيد العجلى وأضرابه من الكذبة ووضاع الحديث، الأخبار فى كتب أصحاب الإمام الباقر والصادق (ع) كما أشار إلى ذلك محمد حسين فضل الله بقوله: إننا نحاول أن نلفت النظر إلى حقيقة تاريخية أساسية، وهى قضية الدس والوضع فى الأحاديث المنقولة عن النبى والأئمة والصحابة الذى يفرضه ويمليه الواقع [صفحه ۱۰۵] السياسى من جهة، والاتجاه المذهبى من جهة أخرى تبعا لانتماءات الرواة السياسية والمذهبية أو لمصالحهم مع هذا الفريق أو ذاك الفريق، مما يبعث على الحذر الكبير والدقة المتناهية فيما يأخذه الإنسان من الأخبار وفيما يدعه منها، حتى فى أحاديث الثقاة الثقاة من الرواة، لأن الوضاعين قد اتبعوا أسلوبا خبيثا فى إعطاء الثقة لأخبارهم المكذوبة، وذلك بأن يدسوا أخبارهم فى كتب هؤلاء الثقاة بتقليد خطوطهم، وإفساح المجال لها فى المواضع غير المكتوبة فى تلك الكتب التى يحصلون عليها بطريق الاستعارة، فلا ينتبه إليها الآخرون وتمر الكذبة على أساس ذلك باسم الثقاة من حيث لا يشعرون. [۱۳۵] . ولكن ما عبر عنه بالحقيقة التاريخية ما لها تعمل فقط فى عموم الرواية الشيعية، ولا تعمل لدى تيار الانحراف فى داخل الرواية العامية! خصوصا وأن المقتضيات السياسية لوضع الحديث التى يشير إليها فى طرحه هذا، لها تفعيل رسمى فى خارج مدرسة أهل البيت (ع) بما لا مجال للشك فيه. ورغم أن مدرسة أهل البيت (ع) قد عالجت [صفحه ۱۰۶] مشكلة الوضع هذه إلى حد بعيد، والمشكلة التى خلقها مثل المغيرة بن سعيد وأبى الخطاب الأسدى قد عولجت فورا، وهذه المعالجة كانت حاكمة فى جميع كتب أصحاب الأئمة، وقد تولى الإمام الصادق ومن بعده الإمام الرضا (ع) بحركة تشذيب شاملة للكتب المروية عنهم جندوا لها أمثال محمد بن مسلم الثقفى وأبان بن تغلب فى عهد الصادق (ع)، ومحمد بن أبى عمير فى عهد الإمام الكاظم (ع) ويونس بن عبد الرحمن وصفوان بن يحيى وأحمد بن محمد بن أبى نصر البزنطى فى عهد الإمام الرضا (ع)، ثم تعاقبت هذه فى زمن الإمام الهادى العسكرى (ع) عبر تلاميذهم لا سيما الحسن والحسين بن سعيد وأبناء مهزيار، وأحمد ابن محمد بن عيسى ومحمد بن الحسن الصفار، ولم تكتف هذه المدرسة بذلك، بل وضعت شرائط قاسية وصارمة فى قبول ورد الخبر، لا تعادلها أى

صرامة لدى أى مدرسة أخرى، أقول: رغم ذلك هل يا ترى أن الحذر الكبير الذى يدعو إليه هذا الرجل، يعنى أن نسقط عموم الحديث أو نلجأ إلى ضوابط علمية نحتكم إليها فى قبول رد الحديث أو الأخذ به. فإن قال بإسقاط الحديث، فلماذا عمل بأخذ رواية العامة دون الخاصة؟ وإن قال باتباع نظام الضوابط، فأين هو الضوابط التى عمل [صفحه ۱۰۷] بموجبها فرفض حديث الخاصة وعمل بحديث العامة، ولربما نستطيع أن نستجلى حقيقة موقفه هذا من خلال النص التالى حيث يقول: ربما كان توثيق أحاديث أهل البيت (ع) مشكلة معقدة من حيث اختلاف الرأى فى أسس التوثيق للنصوص المأثورة عنهم، وعن النبى محمد (ص)، وفى طبيعة الحقيقة التاريخية، فى وثاقة هذا الراوى أو ذاك، مما يجعل الصورة غير واضحة الملامح فى التعبير عن الخطوط الفكرية والفقهية فى منهج أهل البيت الإسلامى، وقد تزيد المسألة إشكالا إذا لاحظنا اضطراب الأحاديث المروية عنهم، من حيث التعارض والتنافى بين الروايات، لا سيما أن بعضها قد يكون صادرا عن راو واحد، يروى الفكرة برواية، ليروى خلافها برواية ثانية. [۱۳۶] . ولو قدرنا - جدلا - صحة ما ذهب إليه، فلماذا خص هذا المنهج بحديث أهل البيت (ع)، وها نحن للتو قد رأينا أخبار أهل العامة وهى تتضارب وتتنافى فيما بينها، ودواعى الوضع فيها لأسباب سياسية وطائفية بينة، فلماذا لم يراع كل تلك الضوابط التى اشترطها على حديث أهل البيت (ع) فى حديث أهل العامة فيما رواه [صفحه ۱۰۸] فى قصة ": ومن عنده علم الكتاب؟. " على أن هذه الضوابط التى فيها من التضبيب ما يكفى لرمى حديث أهل البيت (ع) بعيدا، وترك العمل بمقتضياته، لم نجدها تعمل لديه وهو يشرع فهما جديدا لمبدأ قبول الرواية، يقوم على حساب احتمالات الكذب والصدق، فهو يقبل رواية ضعيفة لعدم وجود احتمال الكذب فيها، ويرد أخرى صحيحة لاحتمال وجود الكذب فيها. [۱۳۷] . وهذا الفهم الذى يترك المجال للاستحسان العقلى وحده برد أو قبول الروايات، يؤسس لمشروع يطال كل أنماط الحديث، ومعه يمكن لكل رواية ترويها طرق أهل البيت (ع) أن تكون كاذبة، لأن دواعى مصلحتهم فيها واضحة، فهى تتحدث عن مذهبهم، وبالتالى يمكن الكذب فيها، وبلحاظ أو دواعى المصلحة ومعايير اكتشاف الصدق والكذب تختلف من شخص لآخر، ومن زمان لآخر، فإن ما لا ريب فيه أن هذا المنهج يؤسس لحالات: [صفحه ۱۰۹] الأولى: وهى المباشرة إعطاء الحق لمدارس العامة برفض الحديث الإمامى وبعدها مقولة الإمامية، باعتبار الإمامية يتحدثون بما تمليه أسس المذهب، وهو أمر تكمن فيه مصلحتهم، وبالتالى يجعل داعى الكذب موجودا دائما، ومن ثم للقول بأن ما يتهم الشيعة به أهل العامة ليس محقا، لأن تلكم المقولات ليس مقولات ثابتة، أو كما يسميها داعية هذا المنهج (غير مقدسة) فما هو غير مقدس تكون: قداسته مقتصرة على الشخص الذى تثبت قداسته عنده - بحسب اجتهاده - فليس له أن يرجم غيره - ممن لا يرى رأيه - بإنكار المقدسات. [۱۳۸] . والثانية: إنه يسمح بإيجاد حالة انتقائية للحديث تقوم على أساس ما يتناسب وعقلية مدرسة الرأى والاستحسان، ومعه يمكن أن يضيع المقدار الأكبر من السنة الصحيحة، ومن ثم لتنشأ حالة ثالثة وهى وجود سنة [صفحه ۱۱۰] متناقضة تسمح بوجود التهافت فى داخلها، بالشكل الذى قد يسمح فى المحصلة النهائية بإسقاط السنة نهائيا، وهذا ما يلتقى بالنتيجة ما طرحناه سابقا، وهو أن المطلوب إسقاط سنة المعصوم (ع)، ولو من خلال الاكتفاء بإسقاط حديث أهل البيت (ع) عنها، وهذا ما يوضحه الرجل - على مستوى المنهج - فى مجالات متعددة فبعد أن وصف الاعتقادات الخاصة بمدرسة أهل البيت (ع) [۱۳۹] وهى البديهيات الإسلامية من خلال وصفها بالمتحولات التى لم تكن بالصراحة الكافية لجعلها فوق الخلاف، وليست موثوقة بشكل لا يمكن الشك فيه، جاء [صفحه ۱۱۱] فى موضع آخر ليقول: (إن كل ما جاءنا من تراث فقهى وكلامى وفلسفى هو نتاج المجتهدين والفقهاء والفلاسفة والمفكرين، من خلال معطياتهم الفكرية، ولا يمثل الحقيقة إلا بمقدار ما نقتنع به من تجسيده للحقيقة، على أساس ما نملكه من مقاييس الحقيقة، وبهذا فإننا نعتبر أن كل الفكر الإسلامى - ما عدا الحقائق الإسلامية البديهية [۱۴۰] - هو فكر بشرى وليس فكرا إلهيا، قد يخطئ فيه البشر فى ما يفهمونه من كلام الله وكلام رسول الله (ص)، وقد يصيبون). [۱۴۱] . أى وعلى أى حال فإننا نجد من خلال هذه الملاحظات السريعة أن منهج الانحراف فى مبانيه الروائية قد اعتمد [صفحه ۱۱۲] آراء أهل العامة [۱۴۲] ، ولكنه حتى فى هذا الاعتماد لم يفلح فى إيجاد التوافق بين ما يطرحه فى حجج للخروج عن سنة أهل البيت، وبين ما التزم به من فكر العامة، فلا فكر العامة قد وافق فهم القرآن، ولا

رواياته كانت متوافقة مع منهج الانحراف فى التعامل مع السنة، ولو تأمل القارئ الكريم بهذا الأمر قليلا لما فوت فرصة التعرف على الهدف الحقيقى الذى يسعى تيار الانحراف إليه. [صفحه ۱۱۳]

من عنده علم الكتاب فى سنة المعصوم

سنتعرف فى هذا المبحث إلى الواقع الروائى فى تفسير هذه الآية من خلال سنة المعصوم عليه السلام، حيث سنجد التوافق التام مع المعطيات التى خرجنا بها فى المبحث القرآنى فى مواصفات وخصائص الشاهد المطلوب للمهمة التى تطرحها الآية المباركة، مع بعض الإشارة إلى صدى هذه الرواية فى أوساط أهل العامة، ومن ثم ليغدو واضحا أى مجانبة ومفارقة عن فكر أهل البيت عليهم السلام قد اقترفها داعية الانحراف.وكعادتنا فإننا سنعتمد منهج التشدد السندى فى توثيق الروايات التى سنذكرها [۱۴۳] وذلك وفقا لمنهج [صفحه ۱۱۴] المقدس السيد الخوئى (قدس سره) باعتباره صاحب أكثر المناهج تشددا فى مسائل الجرح والتعديل، ففى صحيحة على بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبى عمير، ومحمد بن يحيى، عن محمد بن الحسن بن الوليد، عمن ذكره، عن ابن أبى عمير جميعا، عن ابن أذينة، عن بريد بن معاوية قال: قلت لأبى جعفر عليه السلام: (قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب) قال: إيانا عنى، وعلى وأولنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبى (ص). [۱۴۴] . ونفس الرواية رواها محمد بن الحسن الصفار بسند أخر عن محمد بن الحسين، ويعقوب بن يزيد، عن ابن أبى عمير. [۱۴۵] . وفى صحيحة [۱۴۶] أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن أحمد بن محمد، عن حماد بن عثمان، عن أبى بصير، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: (قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب) هو [أهو خ. ل] على بن أبى طالب [صفحه ۱۱۵] عليه السلام؟ قال: فمن عسى أن يكون غيره. [۱۴۷] . وفى موثوقة [۱۴۸] يعقوب بن يزيد، عن الحسن بن على فضال، عن ابن بكير، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: كنت عنده فذكروا سليمان ابن داود، إنما كان عنده حرف واحد من الاسم الأعظم، وصاحبكم الذى قال الله: (قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب) وكان والله عند على عليه السلام علم الكتاب، فقلت: صدقت والله جعلت فداك. [۱۴۹] . وفى صحيحة أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبى، عن أيوب بن الحر، عن أبى بصير، عن أبى عبد الله (ع)، والنضر بن سويد، عن عصم بن حميد، عن محمد بن مسلم، وفضالة بن أيوب، عن أبان، عن محمد بن [صفحه ۱۱۶] مسلم، والنضر بن سويد، عن القاسم بن سليمان، عن جابر جميعا، عن أبى جعفر (ع) فى قول الله عز وجل ": قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب " قال: هو على بن أبى طالب (ع). [۱۵۰] . وفى موثوقة محمد بن الحسين، عن ابن فضال، عن مثنى الحناط، عن عبد الله بن عجلان، عن أبى جعفر (ع) فى قول الله عز وجل ": قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب " قال: نزلت فى على (ع) عالم هذه الأمة بعد رسول الله (ص). [۱۵۱] . وفى صحيحة عبد الله بن أحمد بن نهيك، عن الحسن بن موسى، عن عبد الرحمن بنأبى نجران، عن المثنى [۱۵۲] قال: سألته عن قول الله عز وجل: ومن عنده علم الكتاب قال: نزلت فى على (ع) بعد رسول الله (ص) وفى الأئمة بعده. [۱۵۳] . وفى مؤيدة أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين [صفحه ۱۱۷] ابن سعيد، عن محمد بن الفضيل، [۱۵۴] . عن أبى الحسن (ع) فى قول الله عز وجل ": قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب " قال: هو على ابن أبى طالب. [۱۵۵] . وفى صحيحة أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن أحمد بن حمزة، عنأبان بن عثمان، عن أبى مريم [۱۵۶] قال: قلت لأبى جعفر: هذا ابن [صفحه ۱۱۸] عبد الله بن سلام يزعم أن أباه الذى يقول الله ": قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب. " أقل كذب، ذاك على ابن أبى طالب. [۱۵۷] . ولهذا تكون مرسلة [۱۵۸] يحيى الحلبى معتبرة فلقد روى أحمد بن محمد بن عيسى، عن البرقى، عن النضر ابن سويد، عن يحيى الحلبى، عن بعض أصحابنا [۱۵۹] قال: كنت مع أبى جعفر (ع) فى المسجد أحدثه إذ مر بعض ولد عبد الله بن سلام وقلت: جعلت فداك هذا ابن الذى يقول الناس عنده علم الكتاب؟ قال: لا، إنما ذلك على (ع) نزلت فيه خمس آيات أحدها: قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب . [۱۶۰] . وفى

صحيحة محمد بن الحسين، ويعقوب بين يزيد، عن ابن أبى عمير، عن بريد بن معاوية قال: قلت لأبى جعفر (ع) قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب قال: إيانا عنى وعلى أولنا وأفضلنا [صفحه ۱۱۹] وخيرنا بعد النبى (ص). [۱۶۱] . وفى المروية الآتية التى تروى عن عبد الله بن الوليد السمان بطرق متعددة، وبأجزاء متفرقة أذكر منها صحيحة محمد بن عيسى بن عبيد، عن محمد بن عمرو، [۱۶۲] ، عن عبد الله بن وليد السمان، قال: قال لى أبو جعفر (ع): يا عبد الله ما تقول الشيعة فى على وموسى وعيسى.. الخبر، [۱۶۳] وصحيحة محمد بن إسماعيل، عن محمد بن عمرو الزيات، عن عبد الله بن الوليد قال: قال لى أبو عبد الله (ع): أى شئ يقول الشيعة فى عيسى وموسى وأميرالمؤمنين (ع).. الخبر، [۱۶۴] وفى مرفوعة [صفحه ۱۲۰] الاحتجاج إلى محمد بن أبى عمير، عن عبد الله بن الوليد قال: قال أبو عبد الله (ع): ما يقول الناس فى أولى العزم وصاحبكم أمير المؤمنين (ع).. الخبر [۱۶۵] ، وفى المرسلة المؤيدة بالصحاح المارة أحمد بن محمد، [۱۶۶] عن البرقى، عن رجل من الكوفيين، عن محمد بن عمرو [۱۶۷] قال: قال أبو عبد الله (ع): ما يقول أصحابك فى أمير المؤمنين (ع) وعيسى وموسى أنهم أعلم؟ قال: قلت: ما يقدمون على أولى العزم أحدا، قال: أما إنك لو حاججتهم بكتاب الله لحججتهم، قال: قلت: وأين هذا فى كتاب الله؟ قال: إن الله قال فى موسى ": وكتبنا له فى الألواح من كل شئ موعظة [" ۱۶۸] ولم يقل كل شئ، وقال فى عيسى ": ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه [" ۱۶۹] ولم يقل كل شئ، وقال فى صاحبكم: كفى بالله [صفحه ۱۲۱] شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب. [" ۱۷۰] . وقريب منها وبتفصيل أكثر: صحيحة سعد بن عبد الله، عن محمد بن عيس بن عبيد، عن محمد بن عمرو، عن عبد الله بن الوليد السمان قال: قال الباقر (ع): يا عبد الله ما تقول فى على وموسى وعيسى؟ قلت: ما عسى أن أقول فيهم؟ قال: هو والله أعلم منهما، ثم قال: ألستم تقولون: إن لعلى ما لرسول الله من العلم؟ قلت: نعم، والناس ينكرون. قال: فخاصمهم فيه بقوله تعالى لموسى ": وكتبنا له فى الألواح من كل شئ "فعلمنا أنه لم يكتب له الشئ كله!. وقال لمحمد (ص "): وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكلشئ. [" ۱۷۱] قال: فسئل عن قوله ": قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب "قال: والله إيانا عنى، وعلى أولنا وأفضلنا [صفحه ۱۲۲] وخيرنا بعد رسول الله (ص). [۱۷۲] . وفى صحيحة على بن إبراهيم، قال: حدثنى أبى، عن ابن أبى عمير، عن ابن أذينة، عن أبى عبد الله (ع) قال: الذى عنده علم الكتاب هو أمير المؤمنين (ع) وسئل عن الذى عنده علم من الكتاب أعلم، أم الذى عنده علم الكتاب؟ فقال: ما كان علم الذى عنده علم من الكتاب عنده الذى عنده علم الكتاب إلا بقدر ما تأخذ البعض بجناحها من ماء البحر، فقال أمير المؤمنين (ع): ألا إن العلم الذى هبط به لآدم من السماء إلى الأرض وجميع ما فضلت به النبيون إلى خاتم النبيين فى عترة خاتم النبيين. [۱۷۳] . وهذا الكم الكبير من الروايات والذى يستقطب عهود الأئمة الباقر إلى الرضا (ع) حيث نجد ما لا يقل عن ثلاثة أجيال من الرواة، قد تعاقبوا على نقل الخبر، يبلغ بالخبر حد التواتر، ما يجعل الأخبار الموصوفة بضعفها بسبب جهالة الرواة، أو إهمالهم، أو بالإرسال الذى فيها، أو بضعف نفس الرواة، أو بعاميتهم، [۱۷۴] ترقى [صفحه ۱۲۳] إلى الأخبار المقبولة، ومن جملة هذه الأخبار نجد الروايات التالية: فقد روى محمد بن الحسين [۱۷۵] ، عن النضر بن شعيب [۱۷۶] ، عن محمد بن الفضيل، [۱۷۷] عن أبى حمزة الثمالى، عن أبى جعفر (ع) قال: سمعته يقول فى قول الله تبارك وتعالى: (ومن عنده علم الكتاب) قال: الذى عنده علم الكتاب هو على بن أبى طالب. [۱۷۸] . وروى محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن القاسم بن سليمان [۱۷۹] عن جابر قال: قال أبو جعفر فى [صفحه ۱۲۴] هذه الآية: (قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب) قال: هو على بن أبى طالب. [۱۸۰] . ومن ذلك ما روى ثقة الإسلام الكلينى (قدس الله نفسه الطاهرة) عن محمد بن يحيى،عن أحمد بن أبى زاهر، عن الخشاب، عن على بن حسان [۱۸۱] ، عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبى عبد الله (ع) قال: (قال الذى عنده علم من الكتاب أنا أتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) [۱۸۲] قال: ففرج أبو عبد الله عليه السلام بين أصابعه فوضعها فى صدره، ثم قال: وعندنا والله علم الكتاب كله. [۱۸۳] . وروى الصفار، عن إبراهيم بن هاشم، عن محمد [صفحه ۱۲۵] ابن سليمان، عن سدير [۱۸۴] قال: كنت أنا وأبو بصير وميسر ويحيى البزاز وداود الرقى فى مجلس أبى عبد الله (ع) إذ خرج لينا وهو مغضب، فلما أخذ مجلسه قال: يا عجبا لأقوام يزعمون إنا نعلم

الغيب وما يعلم [الغيب] إلا الله، لقد هممت بضرب خادمتى فلانة، فذهبت عنى فما عرفتها فى أى بيوت الدار هى، [۱۸۵] فلما [صفحه ۱۲۷] أن قام من مجلسه وصار فى منزله، دخلت أنا وأبو بصير وميسر على أبى عبد الله (ع) فقلنا له: جعلنا فداك سمعناك تقول كذا وكذا فى أمر خادمتك، ونحن نعلم أنك تعلم علما كثيرا، ولا ننسبك إلى علم الغيب، قال: فقال: يا سدير ما تقرأ القرآن؟ قال: قلت: قرأناه جعلت فداك، قلا: فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله ": قال الذى عنده علم من الكتاب أنا أتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك؟ " قال: قلت: جعلت فداك قد قرأته، قال: فهل عرفت الرجل، وعلمت ماكان عنده من عمل الكتاب قال: قلت: فأخبرنى حتى أعلم قال: قدر قطرة من المطر الجود [۱۸۶] . فى البحر الأخضر، ما يكون ذلك من علم أكثره إن لم ينسبه إلى العلم الذى أخبرك يا سدير، فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله ": قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده عمل الكتاب " كله قال: وأومأ بيده إلى صدره فقال: علم الكتاب كله والله عندنا ثلاثا. [۱۸۷] . [صفحه ۱۲۸] وروى الصفار، عن أحمد بن الحسن بن فضال، عن عبد الله بن بكير، عن نجم، عنأبى جعفر (ع) فى قول الله تعالى ": قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب [" ۱۸۸] . قال: على (ع) عنده علم الكتاب. وبإسناده عن على بن الحسن بن على بن فضال، عن أبيه، عن إبراهيم الأشعرى، عن محمد بن مروان، عن نجم، عن أبى جعفر (ع) فى قول الله عز وجل: قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب قال: صاحب علم الكتاب على (ع). [۱۸۹] . وبإسنادها أيضا عن بعض أصحابنا، عن الحسن بن موسى، عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبى عبد الله (ع) فى قول الله عز وجل: قال كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب قال: إيانا عنى، على أولنا وأفضلنا وخيرنا. [۱۹۰] وقد مر الحديث بسند صحيح. وبإسناده عن أحمد بن محمد، عن الربيع بن محمد، عن النضر بن سويد، عن موسى بن بكر، عن فضيل بن يسار، عن أبى عبد الله (ع)، بإسناده أيضا [صفحه ۱۲۹] عن عباد بن سليمان، عن سعد بن سعد، عن أحمد بن عمر، عن أبى الحسن الرضا (ع) أنهما قالا فى قول الله عز وجل: قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب قال: على (ع). [۱۹۱] . وأيضا بإسناده عن عبد الله بن محمد، عمن رواه، عن الحسن بن على بن النعمان , عن محمد بن مروا , عن فضيل بن يسار، عن أبى جعفر (ع) فى قول الله عز وجل: قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب قال: نزلت فى على بن آبى طالب، إنه عالم هذه الأمة بعد النبى (ص). [۱۹۲] . وبإسناده عن أبى الفضل العلوى قال: حدثنى سعيد ابن عيسى الكزبرى البصرى، عن إبراهيم بن الحكم بن ظهير، عن أبيه، عن شريك بن عبد الله، عن عبد الأعلى الثعلبى، عن أبى تمام، عن سلمان الفارسى (رحمة الله عليه)، عن أمير المؤمنين (ع) فى قول الله تبارك وتعالى: قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب فقال: أنا هو الذى عنده علم الكتاب وقد صدقه الله وأعطاه الوسيطة فى الوصية، ولا تخلى أمة من وسيلته [صفحه ۱۳۰] إليه، وإلى الله فقال: يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة . [۱۹۳] . وروى الراوندى أقل: أخبرنا جماعة منهم: السيدان المرتضى والمجتبى بنا الداعى الحسنى، والأستاذان أبو جعفر وأبو القاسم ابنا كميح، عن الشيخ أبى عبد الله جعفر ابن محمد بن العباس، عن أبيه، عن أبى جعفر محمد بن على بن الحسين بن موسى، عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن على بن محمد بن سعد، عن حمدان بن سليمان النيسابورى، عن عبد الله بن محمد اليمانى، عن منيع بن الحجاج، عن الحسين بن علوان، عن أبى عبد الله (ع) قال: إن الله فضل أولى العزم من الرسل بالعلم على الأنبياء، وورثنا علمهم وفضلنا عليهم فى فضلهم، وعلم رسول الله ما لا يعلمون وعلمنا علم رسول الله (ص) فروينا لشيعتنا فمن قبله منهم فهو أفضلهم أينما نكون فشيعتنا معنا وأقل (ع): تمصون الرواضع (الثماد) وتدعون النهر العظيم؟ فقيل: ما تعنى بذلك؟ قال: إن الله أوحى إلى رسول [صفحه ۱۳۱] الله (ص) علم النبيين بأسره، وأسره إلى أمير المؤمنين (ع) فقيل: عليه (ع) أعلم أو بعض الأنبياء؟ فقال: إن الله يفتح مسامع من يشاء، أقول: إن رسول الله (ص) حوى علم جميع النبيين , وعلمه الله ما لم يعلمهم، وأنه جعل ذلك كله عند على فتقول: على أعلم أو بعض الأنبياء!! وتلا: قال الذى عنده علم من الكتاب ثم فرق بين أصابعه فوضعها على صدره وأقل: عندنا والله علم الكتاب كله. [۱۹۴] . وروى الشيخ محمد بن أبى القاسم الطبرى بإسناده إلى أبى أحمد يحيى بن يحيى المقرى الفتى الظريف قال: وجدت فى كتاب عمى الفضل فيما كتبه عن أبى منصور أحمد بن العباس، عن أبيه، عن الفضل بن يحيى - فى حديث طويل - قال: سئل أبو جعفر

محمد بن على (الجواد) عن قول الله إلى أن يقول: فقوله: قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب قال: إيانا عنى، وعلى أقضانا وأولنا وخيرنا بعد النبى (ص). [۱۹۵] . وروى سليم بن قيس العامرى فى كتابه عن الأمير [صفحه ۱۳۲] (ع) قال: الذى قال الله: (ويتلوه شاهد منه) [۱۹۶] والذى (عنده علم الكتاب) و (والذى جاء بالصدق) [۱۹۷] والذى صدق به، أنا. [۱۹۸] . وروى الحبرى [۱۹۹] فى تفسيره قال: حدثنى سعيد بن عثمان، عن أبى مريم قال: حدثنى عبد الله بن عطاء قال: كنت جالسا مع أبى جعفر فى المسجد فرأيت أبنا لعبد الله ابن سلام جالسا فى ناحية، فقلت لأبى جعفر: زعموا إن أبا هذا الذى: (عنده علم الكتاب) قال: لا إنما ذلك على بن أبى طالب أمير المؤمنين. [۲۰۰] . وما يقرب منه روى العياشى مرسلا عن عبد الله بن عطاء قال: قلت لأبى جعفر عليه السلام: هذا ابن عبد الله بن سلام بن عمران يزعم أن أباه الذى يقول الله: (قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب) قال: كذب، هو على بن أبى طالب (ع). [۲۰۱] . [صفحه ۱۳۳] وعن عبد الله بن عجلان، عن أبى جعفر (ع) قال: سألته عن قوله: (قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب) فقال: نزلت فى على بعد الرسول الله (ص) وفى الأئمة بعده وعلى عنده علم الكتاب. [۲۰۲] . وعن الفضيل بن يسار، عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله: (ومن عنده علم الكتاب)قال: نزلت فى على عليه السلام إنه عالم هذه الأمة بعد النبى (صلوات الله عليه وآله). [۲۰۳] . وعن بريد بن معاوية العجلى قال: قلت لأبى جعفر عليه السلام: (قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب) قال: إيانا عنى، وعلى أفضلنا وأولنا وخيرنا بعد النبى (ص). [۲۰۴] . وروى الشيخ المفيد رحمه الله عن رجاله مسندا إلى سلمان الفارسى رضى الله عنه قال: قال لى أمير المؤمنين عليه السلام: يا سلمان الويل كل الويل لمن لا يعرف لنا حق معرفتنا وأنكر فضلنا، يا سلمان أيما أفضل محمد (ص) أو سليمان ابن داود عليه السلام؟ قال سلمان: فقلت: بل محمد (ص) فقال: يا سلمان هذا أصف بن برخيا قدر أن يحمل عرش [صفحه ۱۳۴] بلقيس من سبأ إلى فارس [۲۰۵] فى طرفة عين، وعند علم من الكتاب ولا أقدر أنا وعندى علم ألف كتاب! إلى أن قال: اعلم يا سلمان إن الشاك فى أمورنا وعلومنا كالممترى فى معرفتنا وحقوقنا وقد فرض الله تعالى ولايتنا فى كتابه فى غير موضع، وبين فيه ما وجب العمل به وهو مكشوف. [۲۰۶] . وإزاء هذه الكمية الكبيرة من الروايات الصحيحة، وغيرها من الروايات الضعيفة المؤيدة بورودها عبر الأسانيد الصحيحة التى تعمل على جبر ضعفها، فمن الحق التساؤل عن الأسباب التى تجعل تيار الانحراف يغض النظر عنها بمجموعها، ليأخذ ببعض روايات العامة، علما أن الدلالات القرآنية كما وجدناها بعيدة كل البعد عن النهج الذى سار عليه تيار الانحراف، ناهيك عن أن الأئمة عليهم السلام أعربوا عن تسفيه الدلالات التى حاول البعض تزييف الفهم القرآنى بها. فلو كان تيار الانحراف إماميا، بل ومن أعلام [صفحه ۱۳۵] الإمامية – كما يدعى البعض – فما له يضرب عن روايات أهل البيت عليهم السلام الصحيحة والموثوقة صفحا، ويتنكر لمجموعة ضخمة من روايات أخرى لها نفس المصداقية، تؤكد على مفهوم هذه الروايات – كما سنظهر بعد قليل – ويأخذ بروايات سبق لأهل البيت عليهم السلام أن كذبوها؟ أو ليس أهل البيت يعنى العمل بسنتهم؟!. ولو لم يكن إماميا، فما له لم يأخذ بالروايات المتعلقة بشأن نزول الآية بحق الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والموجودة فى كتب العامة فلقد روى الجوزى عن ابن الحنفية قوله: أنه على بن أبى طالب. [۲۰۷] . ونقل القرطبى عن عبد الله بن عطاء قوله: قلت لأبى جعفر محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب (رضى الله عنهم): زعموا أن الذى عنده علم الكتاب عبد الله بن سلام؟ فقال إنما ذلك على بن أبى طالب رضى الله عنه، ثم قال: القرطبى: وكذلك قال محمد بن الحنفية. [۲۰۸] . ونقل القندوزى، عن الثعلبى، وابن المغازلى الشافعى بسنديهما عن عبد الله بن عطاء قال: كنت مع محمد الباقر رضى الله عنه فى المسجد فرأيت ابن عبد الله بن سلام [صفحه ۱۳۶] فقلت: هذا ابن الذى عنده علم الكتاب؟ قال: إنما ذلك على بن أبى طالب. [۲۰۹] . وكذا نقل عن الثعلبى وأبى نعيم بسنديهما عن زاذان، عن محمد بن الحنفية قال: من(عنده علم الكتاب) على بن أبى طالب. [۲۱۰] . ونقل عن الفضيل بن يسار، عن الباقر عليه السلام قال: هذه الآية نزلت فى على عليه السلام إنه عالم هذه الأمة. [۲۱۱] . ونقل جملة من الأحاديث من طرق أهل البيت عليهم السلام قد ذكرناها سابقا ومن جملتها ما رواه عن الصادق عليه السلام أن قال: علم الكتاب كله والله عندنا، وما أعطى وزير سليمان بن داود عليهم السلام، إنما عنده حرف واحد من الاسم الأعظم،

وعلم بعض الكتاب كان عنده قال تعالى: (قال الذى عنده علم الكتاب) أى بعض الكتاب (أنا أتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) قال أبو عبد الله: إن الله تبارك وتعالى: قال لموسى: (وكتبنا له فى الألواح من كل شئ موعظة) [۲۱۲] بمن [صفحه ۱۳۷] التبعيض، وقال عيسى عليه السلام: (ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه) [۲۱۳] . بكلمة البعض، وقال فى على عليه السلام: (ومن عنده علم الكتاب) أى الكتاب، وقال: (ولارطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين) [۲۱۴] وعلم هذا الكتاب عنده. [۲۱۵] . وعن عطية العوفى، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: سألت رسول الله (ص) عن هذه الآية: (الذى عنده علم من الكتاب) قال: ذاك وزير أخى سليمان بن داود عليهما السلام، وسألته عن قول الله عز وجل: (قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب) قال: ذاك أخى على بن أبى طالب. [۲۱۶] . وقال: وقد روى عن موسى بن جعفر، وعن زيد ابن على، وعن محمد بن الحنفية، وعن سلمان الفارسى، وعن أبى سعيد الخدرى، وإسماعيل السدى أنهم قالوا فى قوله تعالى: (قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب): هو على بن أبى [صفحه ۱۳۸] طالب. [۲۱۷] . وروى عن ابن عباس رضى الله عنه قال: من (عنده علم الكتاب) إنما هو على، لقد كان عالما بالتفسير والتأويل والناسخ والمنسوخ. [۲۱۸] . وروى عن محمد بن الحنفية رضى الله عنه قوله: عند أبى أمير المؤمنين على (صلوات الله عليه) علم الكتاب الأول والآخر. [۲۱۹] . ونقل عن سليم بن قيس، عن قيس بن سعد بن عبادة أن قال: (ومن عنده علم الكتاب) على. قال: معاوية بن أبى سفيان: هو عبد الله بن سلام قال [قيس ابن] سعد: أنزل الله: (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) [۲۲۰] وأنزل: (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه) [۲۲۱] فالهادى من الآية الأولى، والشاهد من الآية الثانية على، لأنه نصبه (ص) يوم الغدير، وقال: من كنت مولاه فعلى مولاه، وقال: أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه [صفحه ۱۳۹] لا نبى بعدى، فسكت معاوية ولم يستطع أن يردها. [۲۲۲] . ثم قال نقلا عن بعض المحققين: إن الله تبارك وتعالى بعث خاتم أنبيائه وأشرف رسله وأكرم خلقه بمنه وتحننه وفضله العظيم، بسابق علمه ولطفه بعد أخذه العهد والميثاق على أنبيائه وعباده بمحمد (ص) بقوله: (لتؤمنن به ولتنصرنه) [۲۲۳] ولما فتح الله أبواب السعادة الكبرى والهداية العظمى برسالة حبيبه على العرب وقريش وخصوصا على بنى هاشم بقوله تعالى: (وأنذرعشيرتك الأقربين) [۲۲۴] ورهطك المخلصين، اقتضى العقل أن يكون العالم بجميع أسرار كتاب الله، لا بد أن يكون رجلا من بنى هاشم بعد النبى (ص)، لأنه أقرب له من سائر قريش، وأن يكون إسلامه أولا ليكون واقفا على أسرار الرسالة وبدء الوحى، وأن يكون جميع الأوقات عنده بحسن المتابعة ليكون خبيرا عن جميع أعماله وأقواله، وأن يكون من طفوليته منزها من أعمال الجاهلية ليكون متخلقا بأخلاقه ومؤدبا بآدابه ونظيرا بالرشيد من أولاده فلم يوجد هذه الشروط لأحد إلا فى على عليه السلام. [صفحه ۱۴۰] وأما عبد الله بن سلام لم يسلم إلا بعد الهجرة فلم يعرف سبب نزول السور التى نزلت قبل الهجرة، ولما كان حاله هذه لم يعرف حق تأويلها بعد إسلامه، مع أن سلمان الفارسى الذى صرف عمره الطويل - ثلاثمائة وخمسين سنة - فى تعلم أسرار الإنجيل والتوراة والزبور وكتب الأنبياء السابقين والقرآن لم يكن من (عنده علم الكتاب) لفقده الشروط المذكورة، فكيف يكون من (عنده علم الكتاب) ابن سلام الذى لم يقرأ الإنجيل ولم يوجد فيه الشروط، ولم يصدر منه مثل ما صدر من على يعسوب الدين من الأسرار والحقائق فى الخطبات مثل قوله: (سلونى قبل أن تفقدونى فإن بين جنبى علوما كالبحار الزواخر) ومثل ما صدر من أولاده الأئمة الهداة (عليهم سلام الله وبركاته) من المعارف والحكم فى تأويلات كتاب الله وأسراره. [۲۲۵] . ونقل الحاكم الحسكانى الحنفى فى كتابه شواهد التنزيل أغلب هذه الروايات [۲۲۶] . [صفحه ۱۴۱] وكان ابن المغازلى الشافعى قد قال: أخبرنا أحمد ابن محمد بن طاوان إذنا أن أبا أحمد عمر بن عبد الله بن شوذب أخبرهم قال: حدثنا محمد بن جعفر بن محمد العسكرى حدثنا محمد بن عثمان حدثنا إبراهيم بن محمد ابن ميمون حدثنا على بن عابس قال: دخلت أنا وأبو مريم على عبد الله بن عطاء [۲۲۷] قال أبو مريم: حدث عليا بالحديث الذى حدثتنى عن أبى جعفر قال: كنت عند أبى جعفر جالسا إذ مر عليه ابن عبد الله بن سلام قلت: جعلنى الله فداك هذا ابن الذى عنده علم من الكتاب؟ قال: لا، ولكنه صاحبكم على بن أبى طالب الذى نزلت فيه آيات من كتاب الله عز وجل: الذى (عنده علم الكتاب) [۲۲۸] (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه) [صفحه ۱۴۲] (إنما وليكم الله ورسوله) [۲۲۹] الآية. [۲۳۰] .

وقال الآلوسى: وقال محمد بن الحنفية والباقر كما فى البحر: المراد (بمن) على (كرم الله تعالى وجهه) والظاهر أن المراد بالكتاب حينئذ القرآن. [۲۳۱] . هذه جملة من مرويات أهل العامة قدمتها لا على سبيل الحصر والاستقصاء، وإنما هو قراءة لما عن لنا من مصادرهم، فعلام إذن ترك داعية الانحراف كل هذه الروايات، وتلكم التى أوردناها عن أهل البيت عليهم السلام؟!، وتشبث بروايات لا- تستقيم لها طرق القوم، فضلا عن طرق أهل البيت عليهم السلام، أهو أمية وجهل بالقرآن؟ أم إحنة تجاه على!؟ أم ممالأة لأهل الكتاب؟! لعل هذه التساؤلات لو ربطت بما سننقله من أقوال تيار الانحراف تجاه الإمام أمير المؤمنين وخطه، ما من شأنه أن يكشف لنا عن الأجوبة الحقيقية المؤلمة!. [صفحه ۱۴۳] ولكننا قبل أن ننتهى من هذا الفصل لا بد لنا من وقفة مختصرة تجاه بعض ما قيل فى تفسير الآية بحق على، فلقد نقل القرطبى عن القاضى أبى بكر بن العربى قوله: أما من قال إنه على فعول على أحد وجهين: إما لأنه عنده أعلم المؤمنين وليس كذلك، بل أبو بكر وعمر وعثمان أعلم منه! ولقول النبى (ص) أنا مدينة العلم وعلى بابها وهو حديث باطل!. [۲۳۲] . ولعمرى لم أكن لأعلم أن طائفية البعض قد تبلغ به حد الجهل المريع! حتى اطلعت على أفكار ابن تيمية بحق الإمام وأقوال ابن العربى هذا فى هذا المجال وفى قواصمه على العواصم، ولم أجد من يقول بأن منزلة على ابن أبى طالب هذه المنزلة حتى قرأت هذه المقال، فأين الثرى من الثريا؟ وأين التراب من التبر؟ حاشا لله تلك كلمة أنت قائلها ما أنزل بها من سلطان، أو خفى على هذا الرجل أن من وصفهم بالأعلمية كانوا يرجعون إليه حتى قال قائلهم: لا أبقانى الله لمعضلة ليس فيها أبو عمر؟ وهتف هاتفهم تكرارا ومرارا: لولا على لهلك عمر؟ فإن خفيت عليه هذه الأمور، فلعمرى هو أجهل من أن يناقش، وإن لم تخف عليه فلقد عليه كتم حقا وأظهر [صفحه ۱۴۴] باطلا!!. والأعجب من ذلك قوله ببطلان حديث (أنا مدينة العلم) وهو حديث متسالم عليه جدا بين أرباب الحديث، ويكفى فى هذا الصدد أن أذكر أن حجة القوم أحمد بن محمد بن الصديق الغمارى الحسنى قد ألف كتابا من طرقهم أسماه (فتح الملك العلى بصحة حديث باب مدينة العلم على) ذكر فيه عشرات الطرق التى أوردت الخبر وصححها [۲۳۳] . وقال الآلوسى معلقا على الآية واختصاصها بعلى عليه السلام: لعمرى إن عنده رضى الله تعالى عنه علم الكتاب كملا، لكن الظاهر أنه (كرم الله وجهه) غير مراد. [۲۳۴] . وقريب منه محمد حسين فضل الله الذى قال: فالرواية [۲۳۵] بحسب ظاهر السياق القرآنى يراد فيها علماء [صفحه ۱۴۵] أهل الكتاب وهذا لا ينفى أن الإمام على (ع) كان يعلم علم الكتاب. [۲۳۶] . والكلام هنا يتوجه إلى هؤلاء وأمثالهم، فما دمتم تقرون بأن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام له هذا العلم، فالذى يمنع من أن تكون الآية نازلة بحقه، خصوصا وأن الأدلة التى ذكرتموها بحيازة الآية عنه عليه السلام غير مكتملة على أقل التقادير، ومتعارضة بشدة مع الكثير من أخبار نفس أهل العامة؟. ولئن كان المتكلم مع الآلوسى يعرف حدوده لأن الرجل له شجاعة الانتماء إلى مذهبه، وبالتالى فله أن يقول ما يحلو لمذهبه أن يقول، ولكن ما بال أمثال محمد حسين فضل الله؟ فهو فى هذه ومئات غيرها [۲۳۷] يقف مع القوم بكل ما أوتى من قوة، فى حين لا يمتلك الجرأة فى البوح بشكل رسمى ببعده عن الإمامية!. [صفحه ۱۴۶]

آيات أخرى شاهدة على شاهدية أميرالمؤمنين عليه

اشاره

السلام فى روايات المعصومين نتعرض هنا ضمن عجالة من الوقت وضيق من الحيز، إلى ما وعدنا من قبل بالحديث عن الآية القرآنية: "أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه " وكونها تمثل المصداق التفسيرى لآية ": ومن عنده علم الكتاب، " وكذا الآية الكريمة ": وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا [" ۲۳۸] ، وسنقتصر فى الحديث على ما ورد فى الروايات الصحيحة والموثوقة لأهل البيت عليه السلام فى تفسيرها والله نعم المستعان. [صفحه ۱۴۷]

على الشاهد الذى يتلو من كان على بينة

تقدم الآية القرآنية الكريمة ": أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه " الدليل الدامغ على هوية شاهد آية سورة الرعد، وقد تعاضدت روايات أهل البيت عليهم السلام وكذا روايات غيرهم، على ذكر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعنوانه شخص هذه الآية فقد روى ثقة الإسلام الكلينى (قدس الله أنواره) موثوقة الحسين بن محمد، عن المعلى بن محمد، عن الحسن بن على، عن أحمد بن عمر الحلال قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول الله عز وجل: (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه) فقال: أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) الشاهد على رسول الله (ص) , ورسول الله (ص) على بينة من ربه. [۲۳۹] . وفى معتبرة محمد بن الحسين بن الحسين، عن عبد الله بن حماد، عن أبى الجارود، عن الأصبغ بن نباتة قال: قال [صفحه ۱۴۸] أمير المؤمنين عليه السلام: لو كسرت لى وسادة فقعدت عليها لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم وأهل الإنجيل بإنجيلهم وأهل الزبور بزبورهم، وأهل الفرقان بفرقانهم بقضاء يصعد إلى الله يزهر، والله ما نزلت آية فى كتاب الله فى ليل أو نهار إلا وقد علمت فيمن أنزلت، ولا ممن مر على رأسه المواسى [۲۴۰] من قريش، إلا وقد نزلت فيه آية من كتاب الله تسوقه إلى الجنة أو إلى النار، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين ما الآية التى نزلت فيك؟ قال له: أما سمعت الله يقول: (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه)؟ قال: رسول الله على بينة منربه، وأنا شاهد له فى وأتلوه معه. [۲۴۱] . وقد روى سليم بن قيس فى كتابه عن أمير المؤمنين قوله لمن سأله عن الذى قال الله:(ويتلوه شاهد منه) فقال: أنا [۲۴۲] . وفى معتبرة على بن إبراهيم فى تفسير آية: (وشهد [صفحه ۱۴۹] شاهد من بنى إسرائيل) [۲۴۳] قال: الشاهد أمير المؤمنين والدليل عليه فى سورة هود (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه). [۲۴۴] . وقد ذر الشيخ الصدوق اختصاص الآية بأمير المؤمنين عليه السلام فى عقائده، [۲۴۵] وفى كمال الدين وتمام النعمة. [۲۴۶] . ونقل فى الاحتجاج بإسناده إلى سليم بن قيس قوله: سأل رجل على بن أبى طالب عليه السلام فقال: وأنا أسمع: أخبرنى بأفضل منقبة لك؟ قال: ما أنزل الله فى كتابه، قال: وما أنزل الله فيك؟ قال: (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه) أنا الشاهد من رسول الله عليه السلام. [۲۴۷] . وفى مختصر بصائر الدرجات لسعد بن عبد الله بإسناده إلى أبى الطفيل قوله لأمير المؤمنين ضمن حديث طويل يا أمير المؤمنين قول الله عز وجل: (وإذا وقع [صفحه ۱۵۰] القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) ما الدابة؟. قال: يا أبا الطفيل إله عن هذا؟ فقلت: يا أمير المؤمنين أخبرنى به جعلت فداك. قال: هى دابة تأكل الطعام وتمشى فى الأسواق وتنكح النساء. فقلت: يا أمير المؤمنين من هو؟ قال: هو رب الأرض الذى تسكن الأرض به. قلت: يا أمير المؤمنين من هو؟. قال: الذى قال الله تعالى: (ويتلوه شاهد منه) والذى (عنده علم الكتاب) والذى (والذى جاء بالصدق وصدق به) أنا. وقد روى الإمامية وغيرهم من طرق الخاصة والعامة الكثير من الروايات التى تجمع على اختصاص [صفحه ۱۵۱] الآية بأمير المؤمنين عليه السلام: فلقد روى الشيخ المفيد (أعلى الله مقامه) عن أبى الحسن على بن بلال المهلبى قال: حدثنا على بن عبد الله بن أسد الأصفهانى قال: حدثنا إبراهيم بن محمد الثقفى قال: حدثنا إسماعيل بن أبان قال: حدثنا الصباح بن يحيى المزنى، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن عباد بن عبد الله قال: قدم رجل إلى أمير المؤمنين فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنى عن قوله تعالى: (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه) قال: قال: رسول الله (ص) الذى كان على بينة من ربه، وأنا الشاهد له ومنه. ونقل العياشى فى تفسيره عن عمار بن سويد، عن الإمام الصادق عليه السلام قوله فى حديث طويل: (أفمن كان على بينة من ربه) رسول الله (ص) (ويتلوه شاهد منه) أمير المؤمنين عليه السلام. وروى عن بريد بن معاوية العجلى، عن أبى جعفر عليه السلام قال: الذى على بينة من ربه رسول الله (ص)، والذى تلاه من بعده الشاهد منه أمير المؤمنين عليه السلام، ثم [صفحه ۱۵۲] أوصياؤه واحد بعد واحد. [۲۴۸] . وعن جابر، عن عبد الله بن يحيى قال: سمعت عليا عليه السلام وهو يقول: ما من رجل من قريش إلا وقد نزلت فيه آية أو آيتان من كتاب الله، فقال له رجل من القوم: فما نزلت فيك يا أمير المؤمنين؟ فقال: أما تقرأ الآية التى فى هود: (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه) محمد على بينة من ربه، وأنا الشاهد. [۲۴۹] . ونقل فرات الكوفى عشر روايات على طريقته فى الجمع بين رواة العامة والخاصة وبحذف بعض الأسانيد مسندة إلى أمير المؤمنين والإمام الباقر عليهما السلام. [۲۵۰] . ونقل الحبرى عن إسماعيل بن صبيح قال: حدثنا أبو الجارود، عن حبيب بن يسار، عن زاذان قال: سمعت عليا

عليه السلام يقول: والذى فلق الحبة وبرأ النسمة لو كسرت لى وسادة وأجلست عليها لحكمت بين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، بقضاء يزهر يصعد إلى الله. [صفحه ۱۵۳] والله ما نزلت آية فى ليل أو نهار، لا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر، إلا وقد عرفت أى ساعة نزلت وفى من نزلت. ما من قريش رجل جرت عليه المواسى إلا أنا أعرف، آية تسوقه إلى جنة، وآية تسوقه إلى نار. فقام رجل: ما آيتك يا أمير المؤمنين التى نزلت فيك؟ قال: (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه) فرسول الله (ص) على بينة من ربه، وأنا الشاهد منه أتلوه واتبعه. [۲۵۱] . وقد روت العامة بطرق كثيرة مختلفة نزولها بحق أمير المؤمنين عليه السلام فلقد روى الطبرى عن عبد الله بن يحيى قال: قال على رضى الله عنه: ما من رجل من قريش إلا وقد نزلت فيه الآية والآيتان فقال له رجل: فأنت فأى شئ نزل فيك؟ فقال على: أما تقرأ الآية التى نزلت فى هود: (ويتلوه شاهد منه). [۲۵۲] . وقد أخرج السيوطى عن ابن أبى حاتم، وابن مردويه، وأبى نعيم فى المعرفة، وعنه عن ابن مردويه وابن عساكر، وعنه، عن ابن مردويه بسند آخر أنه على [صفحه ۱۵۴] عليه السلام. [۲۵۳] . وروى الخازن فى تفسيره عن جابر بن عبد الله عين رواية عبد الله بن يحيى المتقدمة. [۲۵۴] . وروى الجوزى فى زاد المسير: أنه على عليه السلام. [۲۵۵] . ونقل القرطبى عن ابن عباس أنه على، وكذا روى رواية عبد الله بن يحيى المتقدمة بدون إسناد. [۲۵۶] . وقال الرازى: وثالثها: أن المراد هو على بن أبى طالب (رض) والمعنى أنه يتلو تلك البينة وقوله: (ومنه) أى هذا الشاهد من محمد وبعض منه، والمراد منه تشريف هذا الشاهد بأنه بعض من محمد عليه السلام [۲۵۷] وتابعه النيسابورى على ذلك. [۲۵۸] . وذكر نفس هذه المعانى الآلوسى فى روح المعانى [صفحه ۱۵۵] مسندا إلى ابن أبى حاتم، وابن مردويه، وكذا إلى المنهال عن عبادة بن عبد الله، وأخرج عن ابن مردويه بطريق أخر. [۲۵۹] . وقال صاحب تفسير المنار: ومنها أنه على (رض) يرويه الشيعة. [۲۶۰] وقوله: يرويه الشيعة، قوله معتادة منه وستعلم أن أغلب ما رواه رواة أهل البيت عليهم السلام إنما كان عن طرق العامة.أما ما روته كتب حديث العامة المختصة فلقد روى الحموينى فى فرائد السمطين [۲۶۱] ونقلها عنه القندوزى الحنفى حيث أخرج بسنده عن ابن عباس وبسنده عن زادان، عن على (كرم الله وجهه) قال: إن رسول الله (ص) كان على بينة من ربه، وأنا التالى الشاهد منه، وكذا أخرجه بسنده عن جابر بن عبد الله، عن على، وبسنده عن البحترى، عن على بلفظه، وأخرجه موفق بن أحمد بسنده عن ابن عباس وأيضا أو نعيم والثعلبى والواقدى بأسانيدهم عن ابن عباس وزاذان وجابر كلهم عن [صفحه ۱۵۶] على. [۲۶۲] . ثم روى عن عباد بن عبد الله رواية مقاربة لرواية عبد الله بن يحيى المتقدمة. [۲۶۳] . وذكر سبط ابن الجوزى عن الثعلبى فى تفسيره عن ابن عباس: أنه على (ع) ومعنى يتلوه شاهد منه أنه أقرب الناس إلى رسول الله (ص). ثم نقل عن الثعلبى رواية زاذان المتقدمة. [۲۶۴] . ونقل المتقى الهندى فى كنز العمال ما يقرب من روايتى زاذان وعبد الله بن يحيى [۲۶۵] . وقريب منه ابن عساكر فى تأريخ دمشق [۲۶۶] ونقل الحسكانى فى شواهد التنزيل العديد من الروايات المقاربة لفظا ومعنى. [۲۶۷] . ونقل الموفق بن أحمد الخوارزمى فى مناقبه عن ابن عباس قوله: هو على عليه السلام شهد للنبى (ص) وهو [صفحه ۱۵۷] منه. ونقل ابن المغازلى الشافعى بإسناده عن المنهال بن عمرو، عن عباد بن عبد الله قال: سمعت عليا وساق الحديث كما ذكره زاذان فى الرواية المتقدمة. على أننا نلمس من مفاد روايات أخرى – وكما هو واقع الحال – تعميم فكرة الشهادة لكل أئمة أهل البيت عليهم السلام، ففى معتبرة على بن إبراهيم، عن أبيه، عن يحيى بن أبى عمران، عن يونس، عن أبى بصير، والفضيل، عن أبى جعفر عليه السلام قال: إنما نزلت (أفمن كان على بينة من ربه) يعنى رسول الله (ص) [صفحه ۱۵۸] (ويتلوه شاهد منه) إماما ورحمة. [۲۶۸] . وروى الطبرسى بإسناده إلى أمير المؤمنين قوله: وأما قوله: (ويتلوه شاهد منه) فذلك حجة الله أقامها على خلقه، وعرفهم أنه لا يستحق مجلس النبى إلا من يقوم مقامه، ولا يتلوه إلا من يكون فى الطهارة مثله، لئلا يتسع لمن ماسه حس الكفر فى وقت من الأوقات انتحال الاستحقاق بمقام رسول الله (ص) وليضيق العذر على من يعينه على إثمه وظلمه، إذ كان الله قد حظر على من ماسه الكفر تقلد ما فوضه إلى أنبيائه وأوليائه، بقوله لإبراهيم: (لا ينال عهدى الظالمين) [۲۶۹] أى المشركين، لأنه سمى الظلم شركا بقوله: (إن الشرك لظلم عظيم) [۲۷۰] فلما علم إبراهيم عليه السلام أن عهد الله تبارك وتعالى اسمه بالإمامة لا ينال عبدة الأصنام، قال:(وأجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام) [۲۷۱] . واعلم أن من آثر المنافقين على الصادقين، والكفار على

الأبرار، فقد افترى إثما عظيما، إذا كان قد بين فى [صفحه ۱۵۹] كتابه الفرق بين المحق والمبطل، والطاهر والنجس، والمؤمن والكافر، وأنه لا يتلوالنبى عند فقده إلا من حل محله صدقا وعدلا وطهارة وفضلا. [۲۷۲] . هذا وقد تقدمت معنا رواية العياشى عن بريد بن معاوية العجلى، عن أبى جعفر عليه السلام قال: الذى على بينة من ربه رسول الله (ص)، والذى تلاه من بعده الشاهد منه أميرالمؤمنين عليه السلام، ثم - أوصياؤه واحد بعد واحد. [۲۷۳] . نكتفى بهذا المقدار من الروايات سردناها على عجل دونما استقصاء وحصر، وهى تؤكد بمجموعها عامها وخاصها على اختصاص الآية الكريمة بأمير المؤمنين عليه السلام، وتعدد طرقها وكثرتها يجبر ضعف [۲۷۴] . [صفحه ۱۶۰] بعض هذه الطرق. ومثلما وجدنا فى الآية السابقة فإن حظ تيار الانحراف يتنكب هذه المرة أيضا فلقد قال داعية الانحراف فى معرض تفسيره لهذه الآية: وقد اختلف المفسرون فى شخصية هذا الذى كان على بينة من ربه، هل هو رسول الله (ص)، أو المؤمنون الذين كانوا معه، أو جميع المؤمنين، وعن طبيعة هذه البينة، هل هى القرآن أو العقل والوجدان، أو شئ أخر غير ذلك، وفى شخصية الشاهد هل هو القرآن، أو جبرائيل أو الإمام على أو غير ذلك من الاحتمالات كما تعددت الروايات فيه مما لا يمكن الركون إليها لخلل فى سند بعضها، وارتباك فى مضمون البعض الآخر، ولانجد فى هذا المجال أوثق من عدم الخوض فى ذلك. [۲۷۵] . [صفحه ۱۶۱] وفى قوله هذا محطات ينبغى أن تستوقفنا، ومن جملتها: أ - إن الاضطراب الذى تعرض لذكره لا يعنى رواية أهل البيت عليهم السلام فهى متفقة شكلا ومضمونا كما رأيناه، وإنما هذا الأمر يتعلق برواية العامة، وهى ليست حجة فى نفسها، فكيف يمكن أن تكون حجة فى ترك رواية أهل البيت عليهم السلام؟. ب - إن الروايات العامية التى تعرضت للإمام على عليه السلام فى هذا المجال لا تعانى مما أسماه بالخلل والارتباك، واختلاف جملها وتعدد مصادرها، إنما يشير إلى الاستفاضة فى رواية الخبر من جهة، وتعدد المواضع التى قيلت فيه. ج - إن الاضطراب الذى اشتملت عليه روايات العامة كان فى محاولة ذود تفسير الآية بعيدا عن الإمام على عليه السلام، وهو أمر اعتدنا عليه مع كل الآيات التى نزلت بحق أمير المؤمنين عليه السلام، ولو سرنا مع هذه الروايات وجعلناها فى نفس مرتبة روايات أهل البيت عليهم السلام، فمما لا شك فيه أننا سوف نسقط كل رواية لأهل البيت عليهم السلام بحجة وجود معارض لها. د - إننا هنا نلمس وللمرة الثانية فى هذا البحث [صفحه ۱۶۲] جفاء تيار الانحراف لرواية أهل البيت عليهم السلام وبعده عنها، وهذا ما يدفعنا للتساؤل من جديد عن طبيعة إيمان هؤلاء بخط أهل البيت عليهم السلام، فلو كانوا مؤمنين حقا بهم، فلم إعمال نفس حجج مخالفيهم على رواياتهم، وهذه الحجج ليست فى مصاف الحجج الموضوعية القابلة للتحاجج، وإنما فى معظمها الأغلب من بنات أكاذيب السياسة والطائفية، ولا تخفى على ذى لب، وكان بإمكانهم ترك الحديث - على الأقل - عن البعد الروائى فى الآية، أما ترك رواية أهل البيت عليهم السلام، والتحاجج بما لدى أهل العامة من أخبار متعارضة، فعلى أى مستوى يمثل إيمانا بمدرسة أهل البيت عليه السلام!!. وهل سيكون ادعاء البعض بإيمانهم بهذا الخط، بل وبزعامة هذا الخط، إلا أكذوبة من أكاذيب أم عمرو؟!. [صفحه ۱۶۳]

الامة الوسط.. إخفاق أخر لخط الانحراف

تقدم الآية الكريمة: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) [۲۷۶] شاهدا آخرا على أن دور الشهادة دور ربانى خصه لأهل بيت النبوة عليهم السلام دون غيرهم من الناس، ومع هذه الآية نجد وللمرة الثالثة تعاضد خط الانحراف على السير بعيدا عن هدى أهل البيت عليهم السلام، وعمله بمعتقدات أهل العامة، فعلى الرغم من كثرة الأحاديث الصحيحة والموثوقة الواردة عنهم (صلوات الله عليهم) وتأكيدهم على اختصاص الوسطية والشهادة لهم دون غيرهم، عملا بالوصية المعروفة أيام السقيفة: (وسعوها تتسع) فأخرجها من إطار أهل البيت عليهم السلام، وأحالها على عناوين لا تصلح للشهادة على نفسها فضلا عن غيرها، وفى بحثنا [صفحه ۱۶۴] الروائى المقتضب هنا عمق التناقض الذى اختطه داعية الانحراف لتيار الانحراف مع مدرسة أهل البيت عليهم السلام فى إطلاق مفهوم الشاهدية بعيدا كل البعد عن كل التأكيدات الإمامية بتخصيص الوسطية والشاهدية بأهل البيت

عليهم السلام، فمن جملة روايات أهل البيت عليهم السلام فى هذا المجال صحيحة الحسين بن محمد، عن المعلى بن محمد، عن الحسن بن على الوشاء، عن أحمد بن عائذ، عن عمر بن أذينة، عن بريد العجلى قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) قال: نحن الأمة الوسطى، ونحن شهداء الله على خلقه وحججه فى أرضه، قلت: قول الله عز وجل (ملة أبيكم إبراهيم) قال: إيانا عنى خاصة (هو سماكم المسلمين من قبل) فى الكتب التى مضت (وفى هذا) القرآن (ليكون الرسول) عليكم شهيدا، فرسول الله (ص) الشهيد علينا بما بلغنا عن الله عز وجل ونحن الشهداء على الناس،فمن صدق صدقناه يوم القيامة، ومن كذب كذبناه يوم القيامة. [۲۷۷] . وفى صحيحة على بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمد بن أبى عمير، عن ابن أذينة، عن بريد العجلى [صفحه ۱۶۵] قال: قلت لأبى جعفر عليه السلام: قول الله تبارك وتعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) قال: نحن الأمة الوسطى، ونحن شهداء الله تبارك وتعالى على خلقه، وحججه فى أرضه، قلت: قوله تعالى: (يا أيها الذين أمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون - وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم) قال: إيانا عنى، ونحن المجتبون، ولم يجعل الله تبارك وتعالى (فى الدين من حرج) الحرج أشد من الضيق (ملة أبيكم إبراهيم) قال: إيانا عنى خاصة و (سماكم المسلمين) الله سمانا المسلمين (من قبل) فى الكتب التى مضت (وفى هذا) القرآن (ليكون الرسول) عليكم شهيدا تكونوا شهداء على الناس، فرسول الله (ص) الشهيد علينا بما بلغنا عن الله تبارك وتعالى، ونحن الشهداء على الناس، فمن صدق صدقناه يوم القيامة، ومن كذب كذبناه. [۲۷۸] . وفى صحيحة على بن إبراهيم، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليمانى، عن سليم بن قيس الهلالى، عن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قال: إن [صفحه ۱۶۶] الله تبارك وتعالى طهرنا وعصمنا وجعلنا شهداء على خلقه وحجته فى أرضه، وجعلنا مع القرآن، وجعل القرآن معنا، لانفارقه ولا يفارقنا. [۲۷۹] . وفى صحيحة أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بنعمرو اليمانى مثله. [۲۸۰] . وفى صحيحة أحمد بن محمد، عن أبيه، عن محمد، [۲۸۱] عن ابن أذينة، عن بريد العجلى قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) قال: نحن أمة الوسط، ونحن شهداءالله على خلقه، وحجته فى أرضه. [۲۸۲] . وفى صحيحة يعقوب بن يزيد، ومحمد بن الحسين، عن ابن أبى عمير، عن عمر بن أذينة، عن بريد بن معاوية قال: قلت لأبى جعفر عليه السلام: قول الله [صفحه ۱۶۷] تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) قال: نحن الأئمة الوسط، ونحن شهداء الله على خلقه، وحجته فى أرضه. [۲۸۳] . وفى صحيحة عبد الله بن جعفر، عن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن جعفر ابن بشير، عن أبى بصير، عن أبى عبد الله عليه السلام (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) قال: نحن الأمة الوسط، ونحن شهداؤه على خلقه، وحجته فى أرضه. [۲۸۴] . وفى صحيحة محمد بن عبد الجبار عن محمد بن إسماعيل، عن على بن النعمان، عن هارون بن خارجة، عن أبى بصير، عن أبى عبد الله عليه السلام فى قول الله تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) بما عندهم من الحلال والحرام وبما ضيعوا منه. [۲۸۵] . وفى صحيحة سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، ومحمد بن عبد الجبار، عن محمد بن [صفحه ۱۶۸] إسماعيل بن بزيع، عن على بن النعمان، عن هارون بن خارجة، عن أبى بصير، عن أبى جعفر عليه السلام فى قول الله عز وجل (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) قال: نحن الشهداء على الناس بما عندنا من الحلالوالحرام، وبما ضيعوا. [۲۸۶] . وبهذا العدد الكبير من صحاح الروايات، يمكن جبر الكثير من الأخبار التى توصف بالضعف، خصوصا إذا ما كان المتن يتفق مع متون الصحاح بالضعف، خصوصا إذا كان المتن يتفق مع متون الصحاح فى اللفظ أو فى المعنى، إما لإرسال [۲۸۷] كما فى روايات تفسير العياشى حيث روى عن أبى بصير قوله: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: نحن نمط الحجاز، فقلت: وما نمط الحجاز؟ قال: أوسط الأنماط إن الله يقول: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) قال: ثم قال:إلينا يرجع الغالى وبنا يلحق المقصر. [۲۸۸] . [صفحه ۱۶۹] وروى عن عمر بن حنظلة، عن أبى عبد الله (ع) قال: هم الأئمة. [۲۸۹] . وعن أبى عمرو الزبيرى، عن أبى عبد الله (ع) قال: قال

الله: وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا فإن ظننت أن الله عنى بهذه الآية جميع أهل القبلة من الموحدين أفترى أن من لا يجوز شهادته فى الدنيا على صاع من تمر يطلب الله شهادته يوم القيامة ويقبلها منه بحضرة جميع الأمم الماضية؟ كلا لم يعن الله مثل هذا من خلقه، يعنى الأمة التى وجبت لها دعوة إبراهيم كنتم خير أمة أخرجت للناس، وهم الأمة الوسطى، وهم خير أمة أخرجت للناس. [۲۹۰] . وإما لمجهولية حال أحد الرواة [۲۹۱] كما فى روايتى بصائر الدرجات عن كتاب بندار بن عاصم حيث حدث [صفحه ۱۷۰] عبد الله بن محمد، عن إبراهيم بن محمد الثقفى، [۲۹۲] قال: فى كتاب بندار بن عاصم، عن الحلبى، عن هارون ابن خارجة، عن أبى بصير، عن أبى عبد الله (ع) فى قول الله تبارك وتعالى: وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس قال نحن الشهداء على أناس بما عندهم من الحلال والحرام وما ضيعوا منه. [۲۹۳] والخبر يصح لوروده بسند صحيح آخر كما مر. وكذا حديث عبد الله بن محمد، عن إبراهيم بن محمد، فى كتاب بندار بن عاصم، عن عمر بن حنظلة وأقل: قلت لأبى عبد الله (ع) وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس قال: هم الأئمة. [۲۹۴] . وكذا حدى عبد الله بن جعفر، عن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن جعفربن بشير، عن عمرو بن أبى المقدام [۲۹۵] ، عن ميون البان، [۲۹۶] عن أبى جعفر (ع) فى قوله تبارك وتعالى: وكذلك جعلناكم أمة [صفحه ۱۷۱] وسطا لتكونوا شهداء على الناس قال: عدلا ليكونوا شهداء على الناس قال: الأئمة ويكون الرسول شهيدا عليكم أقل: على الأئمة. [۲۹۷] وكما فى رواية بشارة المصطفى عن أبى أحمد يحيى بن يحيى المقرى الفتى الظريف أقل: وجدت فى كتاب عمى الفضل فيما كتبه عن أبى منصور أحمد بن العباس، عن أبيه، عن الفضل بن يحيى قال: سئل أبو جعفر محمد بن على [الجواد] فى حديث طويل إلى أن يقول: قلت: فقوله: وكذلك جعلناكم أمة وسطا لكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا قال: نحن الأمة الوسط، ونحن شهداء الله على خلقه، وحجته على أرضه.. إلى أن يقول: قلت فقوله: يا أبها الذى أمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون، وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين قال: إيانا عنى، نحن المجتبون، ولم يجعل علينا فى الدين من ضيق، والحرد أشد من الضيق، ملة أبيكم إبراهيم قال: إيانا عنى خاصة هو سماكم المسلمين من قبل فى الكتب التى مضت وفى هذا [صفحه ۱۷۲] ليكون الرسول شهيدا عليكم فرسول الله (ص) شهيد علينا فيما بلغنا عن الله عز وجل، ونحن الشهداء على الناس، فمن صدقنا يوم القيامة صدقناه، ومن كذبنا يوم القيامة كذبناه. قال: فقوله: قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب قال: إيانا عنى، وعلى أقضانا وأولنا وخيرنا بعد النبى (ص). [۲۹۸] والخبر كما ترى مؤيد لورود متنه بنصوص متقاربة جدا مع الصحاح التى ذكرناها. ولكن رغم كل هذه التأكيدات يأتى الرجل ليؤكد أنه يخالف ما ذهبت إليه الأئمة (ع) من خلال طرحه لمفهوم هو أبعد ما يكون عن الحقيقة، وذلك ترددا لمعتقدات المدارس الأخرى، فحيث أقل أئمة أهل البيت (ع) بأنهم هم أئمة الوسط أقل هو مناقضا لذلك فى تفسير الوسطية فى هذه الآية: إن الوسط من كل شئ أعدله وأفضله فكن هذه الكلمة استعيرت للأمة المسلمة من أجل تأكيد الثقة فى نفوسهم على أساس ما حباهم الله من هداية إلى سبيله لئلا ينهاروا أمام تضليل المضللين وتشكيك المشككين. [۲۹۹] . [صفحه ۱۷۳] وحيث ما قال أهل البيت (ع) بأن الشهادة شأن خاص بهم، فإن قام أولا بذكر إتجاهات التفسير لدى أهل العامة فقط، [۳۰۰] معرضا عما اختصه أهل البيت (ع) لأنفسهم، ومن ثم ليثبت أبعد المفاهيم عما ذهب إليه أئمة أهل البيت (ع) فقال: وعلى هذا، فإن كون الأمة شاهدا يتحرك فى نطاق وجود العناصر الكثيرة فى داخلها ممن يصلحون لمثل هذا الموقع الكبير وهم الطليعة الواعية المؤمنة التقية المنضبطة التى تفهم الإسلام حق الفهم وتعيه حق الوعى وتمارسه حق الممارسة وتحمله بروح رسولية رائدة أنها النخبة الواعية الموجودة فى كل زمان ومكان التى يقف الأئمة الطاهرون والعلماء الواعون والأولياء الطيبون والمجاهدون العاملون. [۳۰۱] . [صفحه ۱۷۵]

على من تنزل الملائكة والروح

تطرح سورة القدر مسألة نزول الملائكة والروح فى كل ليلة قدر من كل سنة كواحدة من الحقائق القرآنية والكونية الثابتة، ولكنها فى هذا الطرح تثير مسألة غاية فى الأهمية بالنسبة لبحثنا هذا طالما تغافل أو أغفلها الكثير من المفسرين من العامة، وأعنى بذلك طبيعة المهام المعلقة بليلة القدر، فلقد تحدث القرآن الكريم عن هذه المهام لمرتين واحدة فى سورة الدخان: (إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين - فيها يفرق كل أمر حكيم) [۳۰۲] وأخرى فى سورة القدر حينما قال جل من قائل: (وما أدراك ما ليلة القدر - ليلة القدر خير من ألف شهر - تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر - سلام هى حتى مطلع الفجر) [۳۰۳] حيث أن الملاحظ فى آيات سورة الدخان، وكما هو شأن الروايات الموثوقة أشارت إلى أن هذه الليلة تقضى فيها أقدار كل شئ، مع التأكيد على أن هذا الأمر يحصل كل [صفحه ۱۷۶] عام بدليل وجود فعل المضارعة (يفرق)، ولكنها فى الثانية تطرح قضية أخرى، وهو (تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر)، وهذا التنزل السنوى للملائكة مع الروح من الواجب أن يثير فينا التساؤل عن الجهة التى تتنزل عليها الملائكة والروح [۳۰۴] ، ولا تصلح أى عقيدة بخلاف عقيدة أهل البيت عليهم السلام فى تقديم تصور منطقى على من تتنزل عليه الملائكة، فالتنزل هنا ليس تنزلا رمزيا من أجل القول بأن الليلة مباركة منقبل الله لمحض المباركة كما قد يحاول قول ذلك تيار التحريف، [۳۰۵] وهذا التنزل حينما يكون لازم التحقق بموجب هذا الحديث القرآنى، فيستلزم وجود الجهة التى لديها المؤهلات الكفيلة بحيث أنها تكون موئلا لنزول الملائكة ومن ثم عرض أمر كل شئ عليها، وعندئذ فمن الحق أن نتساءل عن الجهة التى تصلح لأن تكون مهبط الملائكة والروح [صفحه ۱۷۷] إليها، وهذه الجهة كما يدل مضمون الآيات لها مواصفات متعلقة بالرسالة وشؤونها، كما يشير إلى ذلك ما روى عن الإمام الجواد، عن الإمام الصادق، عن الإمام الباقر عليهم السلام حيث يقول فى حديث طويل لمحدث له بالكعبة المشرفة: فإن قالوا لك: فقل: (حم - والكتاب المبين - إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين - فيها إلى قوله: إنا كنا مرسلين) فإن قالوا لك: لا يرسل الله عز وجل إلا إلى نبى فقل: هذا الأمر الحكيم الذى يفرق فيه هو من الملائكة والروح التى تنزل من سماء إلى سماء أو من سماء إلى الأرض؟ فإن قالوا: من سماء إلى سماء، فليس فى السماء أحد يرجع من طاعة إلى معصية، فإن قالوا: من سماء إلى أرض - وأهل الأرض أحوج الخلق إلى ذلك - فقل: فهل لهم بد من سيد يتحاكمون إليه؟ فإن قالوا: فإن الخليفة هو حكمهم فقل: (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور إلى قوله: خالدون) [۳۰۶] لعمرى ما فى الأرض ولا فى السماء ولى لله عز ذكره إلا- وهو مخذول، ومن خذل لم يصب، كما أن الأمر لا بد من تنزيله من السماء يحكم به أهل الأرض، كذلك لا بد من وال، فإن قالوا: لا نعرف هذا [صفحه ۱۷۸] فقل لهم: قولوا ما أحببتم، أبى الله عز وجل بعد محمد (ص) أن يترك العباد ولا حجة عليهم. ثم قال محدث الإمام الباقر عليه السلام: ها هنا يا ابن رسول الله باب غامض، أرأيت إن قالوا: حجة الله القرآن؟ قال: إذن أقول لهم: إن القرآن ليس بناطق يأمر وينهى، ولكن للقرآن أهل وينهون، وأقول: قد عرضت لبعض أهل الأرض مصيبة [۳۰۷] ما هى فى السنة والحكم الذى ليس فيه اختلاف، وليست فى القرآن، أبى الله لعلمه بتلك الفتنة أن تظهر فى الأرض، وليس فى حكمه راد لها أو مفرج عن أهلها. [۳۰۸] . ولو بحثنا لما وجدنا هناك غير جهة اعتنى القرآن الكريم فى تقديمها كجهة وحيدة تصلح لمثل هذا الحديث عن التنزل الرسالى عليها من قبل الملائكة والروح، وهى جهة أئمة أهل البيت عليهم السلام بعد الرسول (ص) وهذا التفسير ينسجم مع كل ما قدمناه بشأن الإمامة الشاهدة على كل شئ فى الوجود، وثانيا تؤكده العديد من الروايات الواردة فى تفسير السورة. [۳۰۹] كما فى رواية على بن [صفحه ۱۷۹] إبراهيم فى تفسيره حيث يقول: ومعنى ليلة القدر إن الله يقدر فيها الآجال والأرزاق، وكل أمر يحدث من موت أو حياة أو خصب أو جدب أو خير أو شر كما قال الله: (فيها يفرق كل أمر حكيم) إلى سنة. قوله: (تنزل الملائكة والروح فيها) قال: تنزل الملائكة وروح القدس على إمام الزمان ويدفعون إليه ما قد كتبوه من هذه الأمور. [۳۱۰] . ولهذا نعتقد أن التنزل السنوى للملائكة بالأقدار إنما يكون على إمام الزمان وما هذا إلا بسبب اضطلاعه (صلوات الله عليه) بدور الإمامة الشاهدة التى طرحتها آية شهادة من عنده علم الكتاب. [صفحه ۱۸۰]

عودة للبداية

وعودا على بدء نتساءل عن الأسباب التى تجعل هذا التيار يعارض أقوال أئمة أهل البيت عليهم السلام فيما صح صدورها عنهم، ويأتى بمناقض لها من تفسيرات المخالفين لهم، ولا يمكن تصور ذلك إلا من خلال القول بأن هذا الرجل إما أنه لا يقبل رواية أهل البيت عليهم السلام بسبب مشاكل السند والدلالة وما إلى ذلك، وهو أمر لن ينقذه، لأنك قد عرفت توافق الدلالة مع هذا الفهم الذى تسوقه روايات سليمة وصحيحة الصدور، على أنه لو كانت مشاكل السند صحيحة فما باله أخذ بروايات لا يمكن أن تضاهى فى سندها أسانيد الروايات التى ذكرناها؟. وإما أنه لا يقبل بعصمة أهل البيت عليهم السلام وخصوصية علومهم، بحيث أنه يخرجهم من دائرة العصمة ليحولهم إلى رواة ومفسرين يقبل منهم ما يشاء ويذر منهم ما يشاء، وهذا الأمر لعله هو الأقرب إلى [صفحه ۱۸۱] فهمه، فالرجل بعد أن لاحظ أن أصول الدين وفروعه لدى العامة هى الحقائق الإسلامية البديهية الثابتة التى لا تقبل المناقشة، وفى نفس الوقت اعتبر أن أصول الدين وفروعه الإمامية كلها من الصنف غير الثابت القابلة للمناقشة نفيا , إثباتا وفق مقالة: (الأصالة والتجديد) [۳۱۱] ذكر فى كتابه حوارات ما يلى: إن كل ما جاءنا من تراث فقهى وكلامى وفلسفى هو نتاج المجتهدين والفقهاء والفلاسفة والمفكرين من خلال معطياتهم الفكرية ولا- يمثل الحقيقة إلا- بمقدار ما نقتنع به من تجسيده للحقيقة، على أساس ما نملكه من مقاييس الحقيقة، وبهذا فإننا نعتبر أن كل الفكر الإسلامى - ما عدا الحقائق الإسلامية البديهية - هو فكر بشرى، وليس فكرا إلهيا، قد يخطئ فيه البشر فيما يفهمونه من كلام الله وكلام رسول الله (ص) وقد يصيبون. [۳۱۲] . هذا هو الأمر الوحيد الذى من شأنه أن يبرر ترك هذا التيار لحديث أهل البيت (ع)، ومن يلحظ بقية كلماته ومواقفه من أئمة أهل البيت (ع) لا سيما من [صفحه ۱۸۲] قضايا أمير المؤمنين (ع) يجد صحة ما نرمى إليه، فاعتبار الإمامة والعصمة وعلم الإمام وولايته وغيرها من المتحولات، وتشكيكه بسند الغدير، واعتباره بيعة الغدير بمثابة التجربة التى أراد الرسول لها أن تتحرك على المستوى التجريبى لا الإلزامى، وتصويره أمير المؤمنين (ع) بالصورة التى لم يتجرأ حتى أقبح النواصب على وضعه فيها حيث قال عنه: وفى مطلق الأحوال إن عليا (عليه السلام) يشرع فى هذا المقطع من دعائه فى تبيان ما من أجله كان يتوسل مقسما بأسماء الله تعالى وصفاته، وهو يبدأ بسؤال المغفرة للذنوب التى من شأنها أن تمس كيانه وشخصيته، فتحيلها إلى شخصية متهالكة ضعيفة لا حول لها ولا قوة، فاقدة لأى اعتبار أو موقع، أو دور فاعل وإيمانى فى الحياة. [صفحه ۱۸۴] وقال فى موضع آخر (ولاحظ معى الضمائر المرجعة إلى شخصية الإمام (ع)): ماذا نشعر ونحن نرى عليا يسأل المغفرة تلو المغفرة، ثم لا يكتفى بذلك، بل يتجاوزه إلى سؤال شفاعة الله سبحانه وتعالى له. ألا تشعر أن عليا لا يزال خائفا، ولا سيما أن الذنوب والخطايا [صفحه ۱۸۵] التى طلب من الله سبحانه وتعالى أن يغفرها له هى من الذنوب الكبيرة التى يكفى ذنب واحد لينقصهم الظهر منها. [۳۱۳] . وأقل فى موضع آخر: ويتابع الإمام ببيان حاله قائلا: (ولا تفضحنى بخفى ما اطلعت عليه من سرى) يا رب هنالك الكثير من الأشياء التى أقوم بها من دون أن يرانى أحد، أو أتكلم بشئ ولا- يسمعنى أحد، وأنت الساتر الرحيم فيا رب لا تفضحنى فى الدنيا وفى آخرة، وأعدكبأنى سأتراجع عن خطئى وإساءتى ومعصيتى. [۳۱۴] . وقال فى موضع آخر: ولذا فالإمام يقول يا رب لقد خلقن لى هذه الغرائز، ومن تحولى أجواء تثير هذه الغرائز، [۳۱۵] تستيقظ غرائزى عندما تحف بها الروائح والأجواء الطيبة التى تثيرها أعطيتنى عقلا، ولكن غرائزى فى بعض الحالات تغلب عقلى فأقع فى المعصية. [۳۱۶] . وقال فى مكان آخر وبلهجته العامية هو يتحدث عن أمير المؤمنين (ع): كان إذا سمع أحدا يمدحه شو [صفحه ۱۸۶] (ماذا) كان يقول: اللهم اجعلنى خيرا مما يظنون، واغفر لى ما لا- يعلمون، كل الناس بتظن بيه (بى) الخير، أريدك تجعلنى أحسن مما يظنون الناس فى، ولكن يا رب أنت تعرف خفايای، فى أشياء أنت بتعرفها اغفر لى هذه الأشياء. [۳۱۷] . وهكذا المئات من القضايا التى مست كيان المذهب فى أسسه الوجدانية والعقائدية والتأريخية والفقهية، بل إن بعضا منها ما خالف الإسلام بكل كياناته المذهبية كما فى مواقفه من تحريف التوراة والإنجيل حيث يعتقد بأنها حرفت فى اللفظ دون المعنى، [۳۱۸] وهكذا قوله بعدم كفر القائلين بالثالوث المسيحى [۳۱۹] رغم صريح القرآن: وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين تكفروا من قبل قاتلهم الله إنى

يؤفكون [۳۲۰] . [صفحه ۱۸۷] وقوله: (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) [۳۲۱] وهكذا قوله بالتزام القرآن بمقدسات أهل الكتاب [۳۲۲] حتى لو كانت هذه المقدسات من نمط الاعتقاد بقصة يوسف النجار وحمل مريم منه، وحتى لو كانت هذه المقدسات بمقدار قداسة فكرة اليهود عن تكذيبهم لعيسى عليه السلام، ومقدسة النصارى بتكذيبهم لمحمد (ص)، وحتى لو كانت مقدساتهم تعنى عدم تحريفية الكتاب لفظا ومعنى هذا ناهيك عن أقواله التى تتعفف عنها الكثير من الفرق الإسلامية خصوصا تلك التى تتعلق بالتجسيم الإلهى حينما يصف العرش بالمنطقة الجغرافية [۳۲۳] ، وكذا قوله الشنيع بتجلى ذات الله للجبل فى قصة موسى، [۳۲۴] أو أقواله التى تتعلق بعصمة الأنبياء وعقائدهم فى توحيد الله كأقواله فى آدم ونوح وإبراهيم ويوسف ويونس وموسى وسليمان وداود والرسول (صلوات الله عليه وعليهم أجمعين)، وكل هذه الأقوال مرفوضة جملة وتفصيلا من [صفحه ۱۸۸] قبل الإمامية ولم يضع هذا الرفض علماء الإمامية من تلقائياتهم، وإنما تلقوه من قبل أئمة أهل البيت عليهم السلام. [صفحه ۱۸۹]

خاتمة المطاف

إن دائرة الانحراف ليست متوقفة على قول خالف فيه تيار الانحراف موقفا من مواقف الإمامية (أعلى الله شأنهم) كما رأينا فى الحديث عن هذه الآيات الشريفة، وإنما تشكل حالة الخلاف هذه حلقة من سلسلة متمادية فى مخالفة فكر المذهب ورؤاه العقائدية والوجدانية والتاريخية والفقهية، ولهذا فليست العقدة تتمثل فى أن تيار الانحراف فسر هذه الآية أو تلك بشكل خاطئ، وإنما فى تسريبهم للأفكار المنحرفة بعنوانها أفكار أهل البيت عليهم السلام ضمن سلسلة طويلة يجب أن ترى بأكملها، لا أن تقتطع هنا أو هناك، كى يقال أن هذا القول ليس فيه درجة الكفر بالمذهب. إن من المسلم به أن التشيع ليس هوية تصدر من دائرة النفوس أو دائرة الأحوال الشخصية، وإنما هو انتماء عقائد لمنظومة محددة من الأفكار والرؤى التى أوجد [صفحه ۱۹۰] أسسها أهل البيت عليهم السلام، والخروج عنها هو خروج عن المذهب، ولا يظن البعض أن تيار الانحراف قد جمع ما بين دفتيه أكبر مقدار من الأقوال الشاذة ضمن إطار المذهب، [۳۲۵] فالأقوال التى قرأناها واستمعنا لها بأصواتهم، لا تمثل حالة خلافية تبقى فى دائرة الاجتهاد، والاجتهاد الآخر، وإنما هى حالة مخالفات لبنية المذهب وتركيبته، وبالتالى لم نك لنستغرب حينما حكمت المرجعية العليا فى قم المقدسة ممثلة بالمرجعين الكبيرين الآيات العظام الشيخ الميرزا جواد التبريزى، والشيخ الوحيد الخراسانى (حفظهما الله تعالى) على هذا التيار [صفحه ۱۹۱] بالانحراف والخروج عن الطائفة المحقة. ومفروغ عنه أن المرجعين الكبيرين (أعلى الله شأنهما) لم يتخذا موقفيهما فى اعتبار داعية الانحراف ضالا ومضلا بسبب إثارته الآثمة حول سند الغدير [۳۲۶] أو نفيه لعصمة الزهراء [۳۲۷] ، أو أقواله تم النظر إليها ضمن مئات المواقف التى تنكب فيها داعية الانحراف بعيدا عن المذهب، ولا أشك بتاتا بأن من ينظر إلى ما نظرنا إليه من مواقف مجانفة للمذهب سوف يجد قرار المرجعية العليا قد كان فى موضعه تماما. إن ما حدث لا ريب فى أنه مؤلم للغاية، ولا أعلم أن مراجع الطائفة المحقة (أعلى الله مقامهم الشريف) حكمت على أحد بالخروج من المذهب وأعلنت انحرافه عنه، كما أعلنت هنا، ولربما تكون هذه الحالة هى الحالة الوحيدة التى يتم الإعلان عنها، ولكن حالة الانحراف هذه ليست بالأمر المستغرب، فلقد تحدث القرآن عن انحراف إبليس وهو الذى كان يسمى بطاوس المتعبدين، وكذا تحدث عن حالة انحراف بلعم بن باعوراء حيث [صفحه ۱۹۲] قال: (وأتل عليهم نبأ الذى أتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين) [۳۲۸] وقوله تعالى: (يا أيها الذين أمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله) [۳۲۹] . إن الانحراف حالة مرضية يمكن أن تصاب بها كل الكيانات غير المعصومة، وخط الانحراف يبدأ ضيقا حتى إذا ما بلغ أشده بان على حقيقته، وما أصدق كلام أمير المؤمنين عليه السلام حينما قال فى صحيحة ثقة الإسلام الكلينى موضحا حقيقة الانحراف وبدء دبيبه فى كيان الأشخاص والأمم: أيها الناس إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع، وأحكام تبتدع، يخالف فيها كتاب الله، يتولى فيها رجال رجالا، فلو أن الباطل خلص لم يخف على ذى حجى، ولو أن الحق خلص لم يكن اختلاف، ولكن يأخذ من هذا ضغث، ومن ذاك ضغث، فيمزجان فيجيئان معا فهنالك استحوذ الشيطان على أوليائه،

ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى. [۳۳۰] . أما كيف نتخلص من ذلك فلن يكون إلا- من خلال [صفحه ۱۹۳] الحذر الشديد والورع الكبير فى التعامل مع مسائل الدين وعقائده، ولن يتم ذلك إلا- من خلال الرجوع لأهل البيت عليهم السلام فما جاءنا منهم بقول صحيح تعبدنا به، وما جاء عن غيرهم مخالفا لهم رددناه وكفرنا به، كائنا من كان قائله والملتزم به، فالحق هو الذى يعرف الرجال، ولا يعرف الحق بالرجال كائنا من كانوا، فيما خلا أهل بيت العصمة والطهارة فهم مرجع الدين وهم الملاذ من الفتن والبدع، وما أحسن قول الصادق من آل محمد عليه السلام حينما قال بشأن التنازع على أمر ما، بأن يتم التحاكم إلى: من كان منكم ممن قد روى حديثنا فإنى قد جعلته عليكم حاكما فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه، فإنما استخف بحكم الله وعلينا رد، والراد علينا الراد على الله وهو على حد الشرك. [۳۳۱] عصمنا الله وإياك عزيزى القارئ من الضلالة والتخبط بنار الفتن، وجعلنا من المتمسكين بشرعة آل محمد عليهم السلام، وأستميحك فى الختام العذر فيما إذا بدر منى هفوة أو زلة، وشفيعى فى الاعتذار أن غايتى أن أسهم فى الرد عن آل محمد عليهم السلام ظلامة لحقت بهم [صفحه ۱۹۴] أثارتها عليهم نار الجهل والغرور. اللهم إنى أشهدك وكفى بك عالما وشهيدا أنه ما كان منى فى التصدى لموجة الضلال هوى فى دنياهم، ولا طمعا فى وجاهتهم، ولا حسدا منى لمالهم، ولا إحنة على أشخاصهم، وإنما كان الذى كان منى تعبدا بالولاء لعقيدة آل محمد عليهم السلام خالصة لهم دون سواهم ورائدى فى ذلك يا رب قول دعاة الهدى: (وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون) [۳۳۲] . اللهم إن كنت تعلم صدقى فيما أشهدك به فأعنى منك بحول وقوة، فإن المستجير بغيرك خائب، واللائذ بسواك مخذول، والمستعين بغيرك بائر، أنت الهادى لطريق الهدى والموفق لنهج الحق عليك توكلت وإليك مآب.

پاورقى

[۱] الولاية التكوينية الحق الطبيعى للمعصوم عليه السلام: جلال الدين على الصغير، الطبعة الأولى، دارالأعراف للدراسات.

[۲] كما فى التضعيف الصادر بحديث الكساء أو بشأنية بعض الأنبياء والمعصومين كما فى قضية سذاجة آدم عليه السلام، وتوبيخ الله لنوح عليه السلام، وخشوع إبراهيم عليه السلام الروحى للكوكب وتخيله بأنه هو الإله العظيم، ومن ثم للشمس والقمر، ودعوى أن موسى (ع) لم يكن يعلم بأن الله يرى إلا- بعد أن علمه الله ذلك، وكذا هم يوسف (ع) واستنفاذه كل طاقاته فى المقاومة، وكذا التخرصات المشينة والمخلة بالأدب بحق أنبياء الله نوح وداود وسليمان ويونس عليهم السلام وقضية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فى موضوعة عبس وتولى، أو فيما يتعلق بطهارة آباء النبى، وكذا فى موضوعات نور الرسول والأئمة والشفاعة والرجعة والبداء والولاية والتكوينية وعلم الإمام، والعمل بالقياس والاستحسانات والمصالح المرسلة وما إلى ذلك من أمور كثيرة جدا. (ذكرنا هذه الأمور ومئات غيرها مع استعراض شامل لمواضع هذه المقولات فى الثقافة التحريفية، وذلك ضمن كتابنا موضع الإنجاز: التحريفية الجديدة: المعالم والتداعيات).

[۳] ستصدر لنا تباعا بعون الله جملة من الأبحاث التى تتناول هذه الموضوعات، وقد أنجزنا لحد الآن الأبحاث التالية: ۱ – العصمة – ۲ – الإمامة ذلك الثابت الإسلامى المقدس – ۳ – الإمامة، بحث فى الضرورة والمهام، ۴ – الفقه الإباحى إباحة فقه أم استباحة دين؟ ۵ – دور الوجدان فى حركة الأمة (الشعار الحسينى نموذجا).

[۴] المقصود هنا الرواية الصحيحة والموثوقة فى صدورها عن المعصوم (ع).

[۵] أنظر على سبيل المثال مقالة: مع الشيخ المفيد فى تصحيح الاعتقاد، مجلة الفكر الجديد، العدد التاسع ص ۶۲،وكذا فقه الحياة ص ۲۶۷ فما بعدها.

[۶] أى تتخذ من الإسلام كغطاء رسمى يغطى ظلمها.

[۷] وغير ذلك كثيرا جدا.

[۸] هـذا لا- يعنى أننـا نطالب بالانغلاق على المسائل الفكريـة النائمـة وإن حوت على مشاكل فى البنيـة الدليليـة، وإنما الوعى الحركى الحضـارى يفترض تـارة أولويـات فى الخطـاب الفكرى تبعـا لحجم الضـغط الـذى تفرزه متطلبات الواقع الحركى من جهـة، وضـغوط التيارات الحضارية الأخرى من جهة ثانية، وعندئذ سنجد أن فى جعبتنا المئات من الموضوعات التى ينبغى أن يتصدى لها رجال الفكر باعتبارها من أولويات هذا الخطاب. وتارة يفرض أن نعالج هذه الموضوعات وغيرها ضـمن قدرة دليلية تكفى لنقض ما كان لدينا من أفكار وقيم ضـمن مسيرة البحث عن الأفضل والأكمل. أما أن نتخذ من هذه المسيرة حجة لمواجهة تلك الأفكار ونعتها بكل النعوت السلبية بقدرات استدلالية متدنية، فهذا ما لا يرضـى به ذو عقل. فأنت حر فى مناقشة ما تريد، ولكن ينبغى مراعاة حقيقة أن النقاش لم يوضع لأجـل النقاش، وإنما من أجل أن يوصـلنا إلى الأفضل، وبغيره فالشك والجـدل يغـدو عمليـة عابثـة قـد تـدخل فى أى نمط فى السلوك الاجتماعى إلا أن تـدخل فى عالم الأفكار، فهو منه براء. وهـذا ما حصل بالضـبط مع الثقافة التحريفيـة التى استعارت مناهج معرفيـة غريبـة عن الفكر الإسـلامى فأوقعهـا ذلـك فى مطب عـدم تقبل الفكر العقائـدى فراحت تنبش علها تحصل على دليل، ولكنها ظلت عاجزة وبعيـدة عن تشـكيل حتى مجرد دليل يمكنه نقض الفكرة السابقة، فضـلا عن الإتيان بدليل ينمى ويعزز الفكرة المطروحة. وهـذا ما يقود بطبيعـة الحال إلى إيجاد المبرر الحقيقى للارتياب فى حقيقـة أهـداف عمليـة النبش العقائـدى هـذه، إذ نجد هنا اجتماع العبثيـة واللامسؤوليـة مع تدنى الفكر المصاحب بادعاء عريض على أن فكر التحريفية هو فكر الإسـلام، الأمر الذى قاد إلى الاعتقاد أن المسألـة تتجاوز البعـد الفكرى لتلتحق بالأبعاد خصوصا إذا ما لاحظنا ذلك ضـمن منظار ذلك الإصـرار على الطرح الفكرى التحريفى مع وجود قناعـة بعـدم وجود الدليل المقنع، ولربما من ينظر إلى طبيعة الممارسات التى صاحبت ضـجيج التحريفية الجديدة، يشـعر إن الكـثير منهـا يضـفى نمطـا دراماتيكيـا يسـتحق التأمـل الشديـد، كون أغلب تلكم الممارسـات لا- تنتمى إلى مـا ألفنـاه من أجواء أكـثر الطروحات تنكرا للعقائد.

[۹] الكافى ۱: ۵۴ ح ۲. ومثله فى وسائل الشيعة ۱۱: ۵۱۰ ب ۴۰ ح ۱.]

[۱۰] علل الشرائع: ۲۳۵ – ۲۳۶ ب ۱۷۱ ح ۱، ومثله فى غيبة الطوسى: ۶۴ ح ۶۶.

[۱۱] سورة الرعد: ۴۳.

[۱۲] جريدة فكر وثقافة، العددين: ۲۲ و ۴۱.

[۱۳] وهى المحاضـرات التى وصـفها تيار الانحراف بأنها شـتائمية، ولا تقدم الدليل بقدر تقديمها الضـجيج، وهى الطريقة التى تعارف هـذا التيـار على التعامـل بهـا كلما وجـد نفسه محاصـرا من قبل الـدليل، ويمكن للقارئ الكريم أن يتصـفح متون البحث ليجـد أى لغة شتائمية ينطوى عليها. هذا إذا لم يعن مصطلح الشتائمية نقد فكر هذا التيار ودحضه، وإلا فقدحوى البحث على أكثر من ذلك.

[۱۴] آل عمران: ۱۷۳.

[۱۵] المفردات فى غريب القرآن: ۲۶۷ – ۲۶۸.

[۱۶] لسان العرب ۷: ۲۲۲ – ۲۲۳.

[۱۷] لسان العرب ۷: ۲۲۳.

[۱۸] النساء: ۳۳.

[۱۹] سبأ: ۴۷.

[۲۰] الأحزاب: ۴۵.

[۲۱] الحج: ۷۷ – ۷۸.

[۲۲] الأعراف: ۱۷۲.

[۲۳] النور: ۲۴.

[۲۴] يس: ۶۵.

[۲۵] المائدة: ۱۱۷.

[۲۶] البقرة: ۲۸۳.

[۲۷] النساء: ۴۱.

[۲۸] الأحزاب: ۴۵، وبمضمونها الفتح: ۱۸.

[۲۹] المزمل: ۱۵.

[۳۰] المائدة: ۱۱۶ – ۱۱۷.

[۳۱] وإن أمكن التفاضل بينهم يكون الرسول (ص) أفضلهم، وهم بالتبع له.

[۳۲] الرعد: ۴۳.

[۳۳] النمل: ۴۰.

[۳۴] الدر المنثور فی التفسير بالمأثور ۴: ۶۹.

[۳۵] جامع البيان فی تفسير القرآن (تفسير الطبری) ۱۳: ۱۱۹.

[۳۶] الرعد: ۳۱.

[۳۷] زاد المسير فی علم التفسير ۴: ۲۲۳. وقريب منه قال الكلبی ومقاتل فيما نقله عنهما الطبرسی فی مجمع البيان ۳: ۴۱۹.

[۳۸] أنظر تفسير الطبری ۱۳: ۱۱۹، الدر المنثور ۴: ۶۹، زاد المسير فی علم التفسير ۴: ۲۵۲.

[۳۹] البرهان فی علوم القرآن ۱: ۲۵۱.

[۴۰] الرعد: ۳۰.

[۴۱] البرهان فی علوم القرآن ۱: ۲۵۵.

[۴۲] ن. م ۱: ۲۶۰.

[۴۳] الإتقان فی علوم القرآن ۱ – ۱۱۰.

[۴۴] الدر المنثور ۴: ۴۲.

[۴۵] مجمع البيان ۳: ۴۱۹.

[۴۶] الدر المنثور ۴: ۴۲.

[۴۷] الإتقان فی علوم القرآن: ۱: ۱۲ – ۱۳.

[۴۸] زاد المسير ۴: ۲۲۳.

[۴۹] مجمع البيان: ۳: ۴۱۹.

[۵۰] روح المعانی ۱۳: ۸۴.

[۵۱] الميزان فی تفسير القرآن ۱۱: ۲۸۶.

[۵۲] من وحی القرآن ۱۳: ۸۰ – ۸۱. دار الزهراء – بيروت.

[۵۳] من وحی القرآن ۱۳: ۵.

[۵۴] بمعنی أن موضوع البحث وهو التفتيش عن هوية هذا الذی عنده علم الكتاب يمكن أن نعالجه وفق منهج المواصفات التی تطرحها نفس الآيات القرآنية دون أن نقع فی تخبطات واضطراب المفسرين التی هی فی هذا المجال مجرد ظنون وتخرصات ذاتية.

[۵۵] الأحزاب: ۴۵.

[۵۶] الفتح: ۸.

[۵۷] المزمل: ۱۵.

[۵۸] الأعراف: ۱۷۲.

[۵۹] النساء: ۴۱.

[۶۰] النحل: ۸۹.

[۶۱] نظريـة النص الإلهى: هو المقولـة التى تقول بأن رسول (ص) لم يترك أمته هملا دون راع، وإنما نص على إمامة أئمة أهل البيت (ع) بتكليف من قبل الله جل وعلا، وذلك ضـمن تفصـيل استعرضنا بعض جوانبه فى كتابينا: القائد.. القيادة والانقياد فيسيرة الإمام أمير المؤمنين (ع)، وكذا كتابنا: الإمامة.. بحث فى الضرورة والمهام (قيد الإتمام).

[۶۲] مجلـة المعارج (عـدد خاص بفكر فضل الله) مقال: (الوسط والشـهودية مشـروعان لإنقاذ الحضارة) الأعـداد: ۲۱ – ۲۳ص ۱۶۷ – ۱۶۸.

[۶۳] النساء: ۵۹.

[۶۴] هود: ۱۷.

[۶۵] الحج: ۷۷ – ۷۸.

[۶۶] النبأ: ۳۸.

[۶۷] الحج: ۱ – ۲.

[۶۸] نقول: على الأقـل، لأننـا نلاحـظ أن الله لم يسـتدع الأنبياء كشـهداء منفردين، وجميعهم من أهل العصـمة، وإنما اسـتدعى الرسول (ص) ليكون شاهـدا على هؤلاء، مما يشـير إلى أن المطلوب من الشاهـد كلما تقـدمت منزلته ومرتبته أمر أكثر من العصـمة، ولكن ما تحدثنا عنه هو فى الحدود الدنيا لهذه الأمر.

[۶۹] يشـير العلامـة الطباطبـائى (رضوان الله تعـالى عليه) إلى اتسـاع دائرة الشـهادة بحيث أنها تشـمل كل ما له تعلق ما بالعمل فيـدخل علاوة على ما أشرنا إليه عالم الزمان والمكان والدين والكتاب. أنظر الميزان فى تفسير القرآن ۱: ۳۱۹، مؤسسة الأعلمى- بيروت، طبعة ۱۹۹۱.

[۷۰] النساء: ۶۹.

[۷۱] فيما رواه أهل العامة من تفسير ابن عباس فيما عرف بتنوير المقباس لم يرد هذا المعنى، بل إنه أراد الاتجاه الثانى من التفسير وهو ما سنتحدث عنه لاحقا (أنظر تنوير المقباس فى هامش الدر المنثور ۳: ۲۷).

[۷۲] تفسير الطبرى ۱۳: ۱۱۹.

[۷۳] زاد المسير فى علم التفسير ۴: ۲۵۲.

[۷۴] الدر المنثور ۴: ۶۹.

[۷۵] مفاتيح الغيب أو تفسير الرازى ۱۹: ۷۲.

[۷۶] تفسير الطبرى ۱۳: ۱۱۹، زاد المسير ۴: ۲۵۲.

[۷۷] أنظر نفس المصادر والزمخشرى فى تفسيره الكشاف ۲: ۳۶۴، والبيضاوى فى أنوار التنزيل ۲: ۳۴۹.

[۷۸] أنظر تفسير الرازى ۱۹: ۷۲. وقـد تـابعه فى ذلك الخازن فى تفسـيره لباب التأويل فى معانى التنزيل ۳: ۶۹، وكذا النيسابورى فى غرائب القرآن ورغائب الفرقان المطبوع فى هامش تفسير الطبرى ۱۳: ۹۹.

[۷۹] الكشاف ۲: ۳۶۴.

[۸۰] الميزان فى تفسير القرآن ۱۱: ۳۸۷.

[۸۱] النساء: ۱۶۳ – ۱۶۶.

[۸۲] التين: ۱.

[۸۳] تفسير الرازى ۱۹: ۷۲.

[۸۴] تفسير الطبرى ۱۳: ۱۱۸ – ۱۱۹.

[۸۵] زاد المسير فى علم التفسير ۴: ۲۵۱ – ۲۵۲.

[۸۶] الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ۴: ۶۹.

[۸۷] لا أعرف إن أراد وجود هذه الرواية لدى الإمامية أو ما عداهم، وفى كل الحالات فالروايات الموجودة هنا عديدة لدى العامة، ومستفيضة لدى الإمامية، وهى بالتالى ليست برواية واحدة.

[۸۸] لا ريب أن هذه الروايات لا توجد لدى الإمامية. فتأمل.

[۸۹] جريدة فكر وثقافة العدد: ۲۲ بتاريخ ۲۳ / ۱۱ / ۱۹۹۶، وكذا كتاب الندوة ۲: ۳۱۶ الطبعة الأولى – دار الملاك –بيروت ۱۹۹۷.

[۹۰].

[۹۱] وما بين الأقواس منا للتوضيح. وكذا صحيحته فيما رواه عن السندى بن محمد، عن العلا، عن محمد بن مسلم , عن أبى جعفر (ع) قال: قلت له: إن من عندنا يزعمون أن قوله الله تعالى ": فسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون " أنهم اليهود والنصارى، قال: إذا يدعونهم إلى دينهم، ثم أشار بيده إلى صدره وقال: نحن أهل الذكر ونحن المسؤولون. (بصائر الدرجات: ۶۱ ج ۱ ب ۱۹ ح ۱۷). وقد تحدثنا عن ذلك (دلالات الآية وشبهة فضل الله حول مرادها) بالتفصيل فى كتابنا: الإمامة:بحث فى الضرورة والمهام.

[۹۲] جريدة فكر وثقافة العدد: ۴۱ بتأريخ ۲۴ / ۵ / ۱۹۹۷.

[۹۳] يرفض محمد حسين فضل الله هذا المعنى ليشير إلى الفصل بين شخصانية محمد بن عبد الله كذات وبينه كرسول. أنظر كتاب خطوات على طريق الإسلام: ۴۱۲ – ۴۱۴، الطبعة الخامسة، دار التعارف للمطبوعات ۱۹۸۶ وكذا العديد من كتاباته ومقالاته. ولعمر الحق هل كان غير محمد بن عبد الله فى بعده الذاتى البحث بقادر على تحمل هذه الرسالة، وهل أن الجعل الإلهى المعبر عنه فى الآية الكريمة: (الله أعلم حيث يجعل رسالته) (الأنعام / ۱۲۴) كان ليكون لولا وجود ذات محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم ما لكم كيف تحكمون؟!.

[۹۴] يقول الراغب الأصفهانى عن معنى الكفاية: ما فيه سد الخلة، وبلوغ المراد من الأمر. المفردات فى غريب القرآن: ۴۳۷.

[۹۵] تفسير الرازى ۱۹: ۷۱.

[۹۶] قوله: (الاعتراض) يعود إلى كلام من قال بشهادة أهل الكتاب، أى أنه يعترض على كلام منقال بهذه الشهادة.

[۹۷] غرائب القرآن ورغائب الفرقان ۱۳: ۱۰۰.

[۹۸] من ذكرتهم روايات شهادة أهل الكتاب أسلموا فى أوقات متغايرة، وأقربهم إلى الإسلام (على بعض الروايات) كان عبد الله بن سلام التى تشير بعض الروايات إلى أنه أسلم بمجرد ما رأى رسول الله (ص) وهو قادم إلى المدينة، وقال البعض أنه أسلم بعد عام من قدوم الرسول إليها، ورأى آخر أنه أسلم قبل وفاة الرسول بعامين. (أنظر فى هذا الشأن الإصابة فى تمييز الصحابة ۲: ۳۲۰ رقم ۴۷۲۵). وإن كنا نعتقد أن إسلامه كان متأخرا حيث لا يؤثر له فى عالم الخبر والأحداث ما يدل على كونه كان موجودا فى الأحداث المتقدمة من سنوات الهجرة، فى وقت أن قلة المسلمين آنذاك كانت تسمح لمثله – وهو الذى وصف بأنه كان عالم أهل الكتاب – بالبروز فى عالم الأحداث. فيما نجد أن (تميم الدارى) قد أسلم فى العام التاسع لهجرة الرسول (ص). (الإصابة فى تمييزالصحابة ۱: ۱۸۳ – ۱۸۴ رقم: ۸۳۷).

[۹۹] النساء: ۴۶.]

[۱۰۰] المائدة: ۱۳.

[۱۰۱] المائدة: ۴۱.

[۱۰۲] آل عمران: ۷۵.

[۱۰۳] النساء: ۱۶۰ – ۱۶۱.

[۱۰۴] التوبة: ۳۴.

[۱۰۵] حيث استبعد فضل الله أن يكون الإمام على (ع) هو الشاهد بدعوى أنه من صف رسول الله (ص).

[۱۰۶] لا ـ يعنى قولنا بالاتجاهات الثلاثة خلو كتب التفسير من إتجاهات أخرى، وإنما لأن ما أشير إليه من آراء أخرى كما فى القول الذى يقول بأن من عنده علم الكتاب هو جبرائيل (ع)، وهو قول ليس بذى قيمة لتسالم أهل التفسير على نبذه، لكونه من أخبار الآحاد التى لا يسلم متنها من النقض السرى، وليس بأدل على ذلك من كون جبرائيل (ع) قد تصلح شهادته فى الآخرة، أما فى عالم الدنيا فلا محل لشهادته الدائمة والمستمرة المعنية بها هذه الآية، لعدم التمكن من الإدلاء بشهادته أمام الذين كفروا – مثلا – بسبب شأنه النورانى وشأنهم الظلمانى، ولا مجال للقول بإمكانية ذلك لأنه سيجرنا للتحدث عن المعجزة فى مجال اختار الله – لتمام الحجية على الناس – طريق الأسباب الطبيعية، ولذا فقد أعرضنا عنها.

[۱۰۷] الندوة ۲: ۳۱۶.

[۱۰۸] لا يعنى ذلك أن تصح عبارة من قال: حسبنا كتاب الله تخلصا من سنة الرسول أو الإمام، بل أن هذه الحجية تحتاج إلى تبيان، وهذا التبيان لن يقوم به إلا ـ أهله من رسول أو إمام وهو مؤدى حديث الثقلين: إنى تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا، كتاب الله وعترتى. وبما أن الكتاب حجة فى ذاته، فالعترة هى الأخرى حجة بذاتها ولكنهما يحتاجان لبعضهما فى إتمام الحجة على كل الناس.

[۱۰۹] مجلة المعارج مصدر سابق: ۱۶۸.

[۱۱۰] النور: ۲۴.

[۱۱۱] هود: ۱۷.

[۱۱۲] الأحزاب: ۴۵.

[۱۱۳] المائدة: ۱۱۷.

[۱۱۴] البقرة: ۱۴۳.

[۱۱۵] الحج: ۷۷ – ۷۸.

[۱۱۶] النحل: ۱۲۰.

[۱۱۷] الحجرات: ۱۴.

[۱۱۸] لسان العرب ۱۵: ۲۹۵.

[۱۱۹] النمل: ۴۰.

[۱۲۰] الميزان فى تفسير القرآن ۱۱: ۳۸۳ – ۳۸۴.

[۱۲۱] الرعد: ۱.

[۱۲۲] فصلت: ۴۲.

[۱۲۳] النحل: ۸۹.

[۱۲۴] نحن نعتقد أن علم اللوح المحفوظ أوسع من علم القرآن، بدليل الآية القرآنية " إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون (" الواقعة / ۷۷ – ۷۶) وقوله تعالى ": بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ (" البروج: ۲۱ – ۲۲)، ولكن مهما كان الأمر فإن مالا شك فيه هو أن صاحب علم الكتاب يتميز بخصيصة استثنائية لا يمكن لبشر العاديين أن يطالوها.

[۱۲۵] وذلك لقوله تعالى: هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون أمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب (" آل عمران / ۷). فقد رد العلم بمتشابهات القرآن فضلا عن معرفة المتشابه من المحكم إلى الراسخين فى العلم، ومن هم غير رسول الله (ص) وآله الطاهرين (عليهم السلام).

[۱۲۶] مجلة المنطلق العدد: ۱۱۳ ص ۳۲.

[۱۲۷] للإنسان والحياة: ۳۰۱.

[۱۲۸] وهو مفهوم ضبابى يمكن أن يتسع لما يضيق عنه نفس القرآن، ويضيق عما أسهب القرآن فى الحديث عنه، لكونه يخضع لتفكير البشر، وطريقة فهمهم للقرآن، وفى هذا التفكير الكثير من التعصب والمذهبية المسبقة القادرة على تطويع أصلب المفاهيم، وفى تلك الطريقة الكثير من الجهل والسذاجة بما لا يخفى على من له أدنى معرفة بعالم التفسير والحديث.

[۱۲۹] وهى مناهج أهل العامة حيث يعمد فقيههم إلى إعمال رأيه حيثما انعدم لديه الدليل النصى أو القياسى، فيعمد تارة إلى الاستحسان وهو على تعبير البعض: ما يقع فى الوهم من استقباح الشئ واستحسانه من غير حجة دلت عليه من أل ونظير. (إرشاد العقول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: ۲۴۱ للشوكانى) أو يعمد أخرى إلى المصالح المرسلة التى يعرفها أحدهم بأنها: نوع من الحكم بالرأى المبنى على المصلحة بجلب نفع أو دفع ضر، مما لم يدل الشرع على اعتبارها أو إلغائها وهى كما ترى أحكام تقوم على الظن , وتفتقد إلى الدليل الشرعى مما يجعلها خارجة عن دائرة الحجية.

[۱۳۰] الأنعام: ۱۱۶.

[۱۳۱] يونس: ۳۶.

[۱۳۲] النجم: ۲۸.

[۱۳۳] تفسير الطبرى ۱۳: ۱۱۸ – ۱۱۹. وقريب منه فعل السيوطى فى الدر المنثور ۴: ۶۹.

[۱۳۴] تفسير الطبرى ۱۳: ۱۱۹، والناسخ والمنسوخ: ۱۷۳. مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت. وعنهما الدر المنثور ۴:۶۹.

[۱۳۵] الإسلام ومنطق القوة، محمد حسين فضل الله: ۲۴۸ الدارالإسلامية – بيروت، الطبعة الأولى ۱۹۷۹.

[۱۳۶] مجلة المنطق العدد ۱۱۳: ۲۴.

[۱۳۷] أنظر كتاب النكاح، محمد حسين فضل الله ۱: ۵۸ دارالملاك – بيروت الطبعة الأولى ۱۹۹۷.

[۱۳۸] أنظر فى تعديد نماذج المقولات غير المقدس الهامش اللاحق، وانظر فى نص هذا القول: مجلة المناهج البيروتية، العدد الثانى، مقالة الأصالة والتجديد، محمد حسين فضل الله ص ۶۳، ومجلة المعارج (العدد الخاص الثانى بفكر محمد حسين فضل الله) الأعداد: ۲۸ – ۳۱ تحت عنوان: فضل الله وتجديد الوظيفة الاجتهادية، الأصالة والتجديد ص ۳۰۷.

[۱۳۹] كالخلافة والإمامة والحسن والقبح العقليين (العدل) والعصمة فى التبليغ أو فى الأوسع من ذلك بحيث يشمل الأفعال جميعها والآراء جميعها فى شخصية الأنبياء والأئمة (ع)، وفى المسار الجسمانى والروحانى، وفى مستوى علم الأنبياء والأئمة، ومن حيث علم الغيب ووعى الأشياء فى الكون والحياة وفى مسألة حدود الشرك والتوحيد وغير ذلك مما يتصل بالجانب العقيدى، وفى جانب الشريعة فى وجوب الخمس.. الخ. (أنظر مقالة الأصالة والتجديد: ۶۰، وكذا مجلة المعارج فى العدد الخاص الثانى: ۳۰۴مع بعض التحوير حيث أبدلت كلمة العصمة فى الأولى، بكلمة الخاتمية فى الثانية).

[۱۴۰] أنظر فی نماذج هذه الحقائق البديهية مقالته الأصالة والتجديد حيث يعطی مقولات العامة فی أصول الدين وفروعه هذه الصفة، ويستثنی مقولات الإمامية من ذلک!.

[۱۴۱] حوارات فی الفکر والسياسة والاجتماع، محمد حسين فضل الله، إعداد وتنسيق نجيب نور الدين: ۴۸۰ دار الملاک - بيروت، الطبعة الأولی ۱۹۹۷. ونلفت الانتباه هنا أن هذا الکلام مقتبس بصورة کبيرة من کتاب: من الاجتهاد إلی نقد العقل الإسلامی للمستشرق الفرنسی العلمانی محمد أرکون، ومن مقدسة هاشم صالح للکتاب ص ۹ دار الساقی - الطبعة الثانية، لندن ۱۹۹۳.

[۱۴۲] وهو اعتماد مؤقت فی نظرنا!.

[۱۴۳] رغم کونها غير ملزمة بأبحاث من هذا القبيل، لأن هذا المنهج إنما يطلب للفتوی فحسب.

[۱۴۴] الکافی ۱: ۲۲۹ ح ۶.

[۱۴۵] بصائر الدرجات: ۲۳۴ - ۲۳۵ ج ۵ ب ۱ ح ۱۲.

[۱۴۶] الرواية الصحيحة هی ما کان رجال السند فيها من الموثوقين الإمامية.

[۱۴۷] بصائر الدرجات: ۲۳۵ ج ۵ ب ۱ ح ۱۵.

[۱۴۸] الرواية الموثوقة هی ما کان جميع رواتها من الموثوقين ولکن الجميع أو البعض منهم ليسوا من الإمامية، وهی لهذا موثوقة لموضع ابن فضال فيها، رغم الاعتقاد السائد بين بعض المحققين بأن الرجل لم يکن واقفيا.

[۱۴۹] بصائر الدرجات: ۲۳۲ ج ۵ ب ۱ ح ۱.

[۱۵۰] بصائر الدرجات: ۲۳۵ ج ۵ ب ۱ ح ۱۴.

[۱۵۱] نفس المصدر: ۲۳۶ ج ۵ ب ۱ ج ۱۷.

[۱۵۲] هو المثنی الحناط الثقة.

[۱۵۳] بصائر الدرجات: ۲۳۴ ج ۵ ب ۱ ح ۵.

[۱۵۴] اختلف علماء الرجال فی شأن محمد بن الفضيل، فهل هو محمد بن الفضيل بن کثير الصيرفی الضعيف، أو أنه محمد ابن القاسم بن الفضيل بن يسار الثقة الجليل، وفيما ذهب الشيخ المفيد (أعلی مقامه) إلی اعتباره من الفقهاء والرؤساء الأعلام، الذين يؤخذ منهم الحلال والحرام والفتيا والأحکام، ولا يطعن عليهم بشئ، ولا طريق لذم واحد منهم. (معجم رجال الحديث ۱۷: ۱۴۷ رقم ۱۱۵۶۴). فإن السيد الخوئی (قدس سره) قد أعلن أنه لا مجال لتخصيص إطلاق اسم محمد بن الفضيل علی محمد بن القاسم الثقة، دون الصيرفی الضعيف.ولهذا فإن الرواية هنا تبقی معلقة بين الراوی الضعيف والآخر الثقة، ولکن احتمال الضعف هنا مجبور بتواتر الخبر.

[۱۵۵] بصائر الدرجات: ۲۳۵ ج ۵ ب ۱ ح ۱۳.

[۱۵۶] هو عبد الغفار بن القاسم الأنصاری الثقة.

[۱۵۷] بصائر الدرجات: ۲۳۵ ج ۵ ب ۱ ح ۱۶.

[۱۵۸] الرواية المرسلة فی واحدة من مواصفاتها هی الرواية التی يروی فيها الراوی عن شخص دون أن يسميه.

[۱۵۹] ولا يبعد أن يکون هذا هو أبو مريم المار.

[۱۶۰] بصائر الدرجات: ۲۳۴ ج ۵ ب ۱ ح ۱۱.

[۱۶۱] نفس المصدر: ۲۳۶ ج ۵ ب ۱ ح ۲۰.

[۱۶۲] وفی الأصل: محمد بن عمر، وهو تصحيف والصحيح ما أوردناه، لعدم وجود من يروی محمد بن عيسی اليقطينی عنه سوی محمد بن عمرو الزيات المدائنی الثقة، ولعدم وجود راو عن عبد الله بن الوليد غيره، ولنص رواية الخرائج والجرائح القادمة، وکذا

صحيحة محمد بن عيسى بن عبيد المشار إليها. وعلى فرض عدم صحة محمد بن عمرو هنا، فهو محمد بن أبى عمير الذى يرفع صحب الاحتجاج الخبر إليه. وبه يصح الخبر أيضا.

[۱۶۳] بصائر الدرجات: ۲۴۸ ج ۵ ب ۵ ح ۳.

[۱۶۴] نفس المصدر: ۲۴۷ ج ۵ ب ۵ ح ۱.

[۱۶۵] الاحتجاج: ۳۷۵.

[۱۶۶] أغلب الظن أنه أحمد بن محمد بن خالد البرقى. وغلا فهو أحمد بن محمد بن عيسى.

[۱۶۷] يرد هنا نفس ما أوردناه فى الهامش السابق فى معرض تصحيح اسم محمد بن عمر إلى محمد بن عمرو الزيات المدائنى.

[۱۶۸] الأعراف: ۱۴۵.

[۱۶۹] الزخرف: ۶۳.

[۱۷۰] بصائر الدرجات: ۲۴۹ ج ۵ ب ۵ ح ۶.

[۱۷۱] النحل: ۸۹.

[۱۷۲] الخرائج والجرائح: ۷۹۸ - ۷۹۹ ب ۱۶ ح ۸.

[۱۷۳] تفسير القمى ۱: ۳۶۸.

[۱۷۴] جهالة الراوى تعبير عن عدم اتضاح حاله من حيث الوثاقة والعدم، وإهماله تعبير عن عدم حديث علماء الرجال عن حاله، وعاميته كونه من رجال العامة.

[۱۷۵] ورد فى الأصل: محمد بن الحسن، وهو تصحيف، والصحيح هو ما أثبتناه لعدم وجود محمد بن الحسن فى هذه الطبقة له خصيصة الرواية عن النضر بن شعيب، على أن من الواضح أن محمد بن الحسين بن أبى الخطاب هو راوى كتاب النضر.

[۱۷۶] النضر بن شعيب لم يوثق.

[۱۷۷] المظنون أنه محمد بن الفضيل الصير فى الضعيف.

[۱۷۸] نفس المصدر: ۲۳۶ ج ۵ ب ۱ ح ۱۹.

[۱۷۹] ذكره النجاشى من دون توثيق، وكذا الشيخ فى الفهرست، ولكن رواية كتابه من قبل النضر بن سويد (رضوان الله تعالى عليه وهو من أعلام الطائفة) يدل على ركون لحديثه. ولكن هذا الأمر حيث لا يدل على التوثيق، إلا أن عدم وثاقته مجبورة بورود الخبر بأسانيد صحيحة وموثوقة، فيصح.

[۱۸۰] بصائر الدرجات: ۲۳۳ ج ۵ ب ۱ ح ۴.

[۱۸۱] على وعمه عبد الرحمن موصوفان بالضعف، وما خلاهما من أهل الثقة.

[۱۸۲] النمل: ۴۰.

[۱۸۳] الكافى ۱: ۲۲۹ ح ۵. ومثله ولكن عن أحمد بن موسى، عن الخشاب، عن عبد الرحمن بن كثير الهاشمى روى الصفار الخبر فى البصائر: ۲۳۲ ج ۵ ب ۱ ح ۲.

[۱۸۴] كذا هو الصحيح، وفى المصدر: محمد بن سليمان بن سدير، وهو تصحيف ظاهر. مع العلم أن محمد بن سليمان هذا ضعيف.

[۱۸۵] يتخذ تيار الانحراف من هذا المقدار من الرواية حجة على عدم علم الإمام (ع)، وقد فصلنا الحديث عن ذلك فى كتابينا القادمين: علم المعصوم (ع)، والإمامة: بحث فى الضرورة والمهام، وبمقدار أقل فى الطبعة الثانية فى الفصل الأخير من كتابنا الولاية التكوينية، الحق الطبيعى للمعصوم (ع)، ولكن لا بد هنا من القول وبشكل موجز: بأن علم الإمام إنما ينقسم إلى قسمين، فما يرتبط بالعلوم المتعلقة بشؤون الرسالة والهداية والدين فمما لا شك فيه أن لديه العلم كله، وخلافه يؤدى إلى القول به، فلا يمكن تصور إمام

يمارس مهمة الإمامة الدينية، وهو لا يملك العلم الشامل والتفصيلى بكل ما يتعلق بمادة إمامته، لأن خلافه سيؤدى إلى القول بأن الحجية الإلهية الكاملة لم تنجز عليه. أما فيما يتعلق بالشؤون الخارجة عن مدار الإمامة كما فى الموضوعات الخارجية غير المرتبطة بشؤون الدين، فعلى رأى بعض القدامى بأنه ما من ضرورة لأن يعلمها بكل تفاصيلها، ولكنه إن احتاجها علمها، وهو مناط قولهم (ع): إن احتجنا إلى العلم علمنا، ولكن علمهم هنا لن يكون علما كسبيا، وإنما يتم بطرق التعليم الخاصة بالعلم الإلهى كالإلهام أو النكث فى القلوب، أو النقر فى الأسماع، أو بتكليم ملك، أو بإحالة الأشمل التى يعبر عنها بملازمة روح القدس لهم. وذلك ضمن تفصيل لا يتسع المجال له هنا. ولكن يشكل على ذلك أن نفس القول بعلم الإمامة لغرض الإمامة يستدعى امتداد هذا العلم إلى الموضوعات الخارجية بشقيها الفنى والموضوعى، ففى الشق الفنى إن قلنا بأن وظيفتهم كأئمة تستدعى منهم أن يعلموا كل ما فى القرآن لغرض بيانه، فها هو القرآن يتحدث عن كثير من الأمور ذات المساس الواضع بهذه العلوم كالفلك والفسلجة والنبات وغيرها، وحيث أن الإمام ملزم بالتبيان وجب علمه بكل التفاصيل المتعلقة بأمور كهذه، أما فى الجانب الموضوعى كمن قبيل الرواية أعلاه لو صحت دون ذيلها المناقض لصدرها ففيه أن الكثير من هذه الشؤون ترتبط بمهمة الإمامة مما يلحقها بالعلم الخاص، وجميعها تدخل فى شؤون الإمامة الشاهدة مما يجعل الحديث يتمايز العلم بالموضع الخارجى عن علم الإمامة سالب بانتفاء الموضوع، وهذا هو الذى يسمونه بأعلم أحاديث فى الليل والنهار، ومما يدلل على هذا الأمر حديثنا القادم عن سورة القدر.

[۱۸۶] أى المطر الكثير.

[۱۸۷] بصائر الدرجات: ۲۳۳ ج ۵ ب ۱ ح ۳.

[۱۸۸] نفسه: ۲۳۳ – ۲۳۴ ج ۵ ب ۱ ح ۵.

[۱۸۹] نفسه: ۲۳۴ ج ۵ ب ۱ ح ۶.

[۱۹۰] نفسه: ۲۳۴ ج ۵ ب ۱ ح ۷.

[۱۹۱] نفسه: ۲۳۴ ج ۵ ب ۱ ح ۸ و ۹.

[۱۹۲] نفسه: ۲۳۶ ج ۵ ب ۱ ح ۱۸.

[۱۹۳] بصائر الدرجات: ۲۳۶ ج ۵ ب ۱ ح ۲۱. والآية فى المائدة: ۳۵. – ما بين القوسين هو ما فى رواية البصائر، ولعلها النسب. بصائر الدرجات: ۲۴۸ ج ۵ ب ۵ ح ۴. والثماد: الماء القليل الذى يتجمع بعد المطر بحيث أنه لا تكون له مادة تنقب فيه.

[۱۹۴] الخرائج والجرائح: ۷۹۶ – ۷۹۷ ب ۱۶ ح ۶. ونفس الرواية أوردها صاحب مختصر بصائر الدرجات لسعد بن عبد الله الأشعرى ص ۱۰۸.

[۱۹۵] بشارة المصطفى لشيعة المرتضى: ۱۹۳ – ۱۹۴.

[۱۹۶] هود: ۱۷.

[۱۹۷] الزمر: ۳۳.

[۱۹۸] كتاب سليم بن قيس: ۶۸.

[۱۹۹] أبو عبد الله الكوفى الحسين بن الحكم بن مسلم الحبرى من أعلام القرن الثالث توفى سنة ۲۸۶.

[۲۰۰] تفسير الحبرى: ۲۸۵ – ۲۸۶ رقم ۴۱.

[۲۰۱] تفسير العياشى ۱: ۲۳۶ ح ۷۸.

[۲۰۲] نفسه ۱: ۲۳۶ ح ۷۹.

[۲۰۳] تفسير العياشى ۱: ۲۳۶ ح ۸۰.

[۲۰۴] نفسه ۱: ۲۳۶ ح ۷۷.

[۲۰۵] كذا فى المصدر، ولعل فيه تصحيف أو توهم من الراوى.

[۲۰۶] تأويل الآيات الظاهرة: ۲۴۰ ح ۲۴.

[۲۰۷] زاد المسير فى علم التفسير ۴: ۲۵۲.

[۲۰۸] الجامع لأحكام القرآن ۹: ۲۲۰.

[۲۰۹] ينابيع المودة ۱: ۳۰۵ ب ۳۰ ح ۱.

[۲۱۰] ينابيع المودة ۱: ۳۰۷ ب ۳۰ ح ۲.

[۲۱۱] نفسه: ح ۳.

[۲۱۲] الأعراف: ۱۴۵.

[۲۱۳] الزخرف: ۶۳.

[۲۱۴] الأنعام: ۵۹.

[۲۱۵] ينابيع المودة ۱: ۳۰۶ ب ۳۰ ح ۶.

[۲۱۶] نفس المصدر: ۳۰۷ ح ۷.

[۲۱۷] نفس المصدر: ۳۰۷ ح ۸.

[۲۱۸] نفس المصدر: ۳۰۸ ح ۱۱.

[۲۱۹] نفسه: ۳۰۸ ح ۱۲.

[۲۲۰] الرعد: ۷.

[۲۲۱] هود: ۱۷.

[۲۲۲] ينابيع المودة ۱: ۳۰۸ - ۳۰۹ ح ۱۳.

[۲۲۳] آل عمران: ۸۱.

[۲۲۴] الشعراء: ۲۱۴.

[۲۲۵] ينابيع المودة ۱: ۳۰۹ - ۳۱۰.

[۲۲۶] شواهد التنزيل ۱: ۳۰۷ - ۳۰۸.

[۲۲۷] قال الذهبى فى ميزان الاعتدال فى ترجمته: عبد الله بن عطاء المكى: صدوق إن شاء الله. (ميزان الاعتدال ۲:۴۶۱ رقم ۴۴۵۱).

[۲۲۸] فى أصل الكتاب الذى عنده علم من الكتاب، ولا يصح للاتفاق على أن هذا الوصف متعلق بوزير سلمان من جهة، وللروايات السابقة التى وردت عن عبد الله بن عطاء والتى تتحدث عن آية الرعد، وليس عن آية النمل، ولهذا صححناه، ولعله من أخطاء النساخ.

[۲۲۹] المائدة: ۵۵.

[۲۳۰] مناقب ابن المغازلى الشافعى: ۳۱۳ - ۳۱۴ ح ۳۵۸.

[۲۳۱] روح المعانى ۱۳: ۱۷۶.

[۲۳۲] الجامع لأحكام القرآن ۹: ۲۲۰.

[۲۳۳] أنظر طبعة الكتاب من قبل مطبعة السعادة بالقاهرة ۱۹۶۹ بتحقيق أحمد محمد مرسى وذلك بمعية كتاب على بنأبى طالب إمام العارفين أو البرهان الجلى فى تحقيق انتساب الصوفية إلى على لنفس المؤلف.

[۲۳۴] روح المعانى ۱۳: ۱۷۶.

[۲۳۵] والصحيح الآية، ولعله من سبق اللسان.

[۲۳۶] جريدة فكر وثقافة العدد: ۴۱ ص ۴.

[۲۳۷] للتفصيل أنظر كتابنا: التحريفية الجديدة، المعالم والتداعيات، وكذا كتاب خلفيات كتاب مأساة الزهراء للعلامة السيد جعفر مرتضى (حفظه الله).

[۲۳۸] البقرة: ۱۴۳.

[۲۳۹] الكافي: ۱: ۱۹۰ ب ۶۷ ح ۳.

[۲۴۰] أي بلغ الحلم.

[۲۴۱] بصائر الدرجات: ۱۵۳ ح ۳ ب ۹ ح ۲. والحديث مقطع والكثير من الأسانيد التي روت أجزاءه صحيحة.

[۲۴۲] كتاب سليم بن قيس: ۶۸.

[۲۴۳] الأحقاف: ۱۰.

[۲۴۴] تفسير القمي ۲: ۲۷۲.

[۲۴۵] عقائد الصدوق: ۵۱.

[۲۴۶] كمال الدين وتمام النعمة: ۱۳.

[۲۴۷] الإحتجاج: ۱۵۹.

[۲۴۸] نفسه ۲: ۱۵۲ ح ۱۲.

[۲۴۹] تفسير العياشي ۲: ۱۵۳ ح ۱۳.

[۲۵۰] تفسير فرات الكوفي: ۱۸۷ – ۱۹۱ ح ۲۳۷ – ۲۴۶.

[۲۵۱] تفسير الحبري: ۲۷۶ – ۲۷۹ ح ۳۶.

[۲۵۲] تفسير الطبري ۱۲: ۱۱.

[۲۵۳] الدر المنثور ۳: ۳۲۴.

[۲۵۴] تفسير الخازن ۲: ۳۲۱.

[۲۵۵] زاد المسير في علم التفسير ۴: ۷۳.

[۲۵۶] الجامع لأحكام القرآن ۹: ۱۳.

[۲۵۷] تفسير الرازي ۱۷: ۲۰۹.

[۲۵۸] غرائب القرآن ورغائب الفرقان ۹: ۱۶.

[۲۵۹] روح المعاني ۱۲: ۲۷ – ۲۸.

[۲۶۰] تفسير المنار ۱۲: ۵۳.

[۲۶۱] فرائد السمطين ۱: ۳۳۸ – ۳۴۰ ح ۲۶۰ – ۲۶۳.

[۲۶۲] ينابيع المودة ۱: ۲۹۴ ب ۲۶ ح ۳.

[۲۶۳] ينابيع المودة ۱: ۲۹۵ ب ۲۶ ح ۴.

[۲۶۴] تذكرة الخواص: ۲۵ – ۲۶.

[۲۶۵] كنز العمال ۲: ۴۳۹ ح ۴۴۴۰ – ۴۴۴۱.

[۲۶۶] ترجمة الإمام علي (ع) من تأريخ دمشق ۲: ۴۲۱.

[۲۶۷] شواهد التنزيل ۱: ۲۷۵ – ۲۸۲.

[۲۶۸] تفسير القمى ۱: ۳۲۵ – ۳۲۶.

[۲۶۹] البقرة: ۱۲۴.

[۲۷۰] لقمان: ۱۳.

[۲۷۱] إبراهيم: ۳۵.

[۲۷۲] أمالى المفيد: ۱۴۵ م ۱۸ ح ۵. الحديث طويل أخذنا موضع الحاجة منه.

[۲۷۳] تفسير العياشى ۲: ۱۵۲ ح ۱۱.

[۲۷۴] الإحتجاج: ۲۵۱.

[۲۷۵] من وحى القرآن، محمد حسين فضل الله ۱۲: ۴۵ – ۴۶ دار الزهراء، الطبعة الأولى ۱۹۸۵ بيروت.

[۲۷۶] البقرة: ۱۴۳.

[۲۷۷] الكافى: ۱: ۱۹۰ ب ۶۷ ح ۲. والآية فى الحج: ۷۸.

[۲۷۸] الكافى ۱: ۱۹۱ ب ۶۷ ح ۴.

[۲۷۹] الكافى ۱: ۱۹۱ ب ۶۷ ح ۵.

[۲۸۰] بصائر الدرجات: ۱۰۳ ح ۲ ب ۱۳ ح ۶.

[۲۸۱] محمد هذا هو ابن أبى عمير، وأحمد بن محمد هو ابن محمد بن عيسى وكلهم من كبار الثقاة.

[۲۸۲] بصائر الدرجات: ۸۳ ج ۲ ب ۳ ح ۱۱.

[۲۸۳] بصائر الدرجات: ۱۰۲ ج ۲ ب ۱۳ ح ۳.

[۲۸۴] المصدر ۱۰۳ ج ۲ ب ۱۳ ح ۵.

[۲۸۵] نفسه: ۵۳۶ – ۵۳۹ ج ۱۰ ب ۱۸ ح ۴۵.

[۲۸۶] مختصر بصائر الدرجات لسعد بن عبد الله: ۶۵.

[۲۸۷] ضعاف المراسيل ضعفت بسبب غياب بقية السند، وهى لهذا لا يمكن أن تكذب أو ترد، لوجود احتمال كبير فى أن يكون ما فقد من السند صحيحا.

[۲۸۸] تفسير العياشى ۱: ۸۱ – ۸۲ ح ۱۱۱.

[۲۸۹] تفسير العياشى ۱: ۸۲ ح ۱۱۲.

[۲۹۰] نفسه ۱: ۸۲ ح ۱۱۲.

[۲۹۱] وهذه وإن عدت من الضعاف إلا أنها من الصنف الذى لا يرجح الضعف على القوة فيها، فقد يكون الضعيف قويا ولهذا فهى لا ترد ولا تكذب.

[۲۹۲] ممدوح.

[۲۹۳] بصائر الدرجات: ۱۰۲ ج ۲ ب ۱۳ ح ۱.

[۲۹۴] نفسه: ۱۰۲ ج ۲ ب ۱۳ ح ۲.

[۲۹۵] ممدوح.

[۲۹۶] مجهول وبقية رجال السند من أعلام الثقات.

[۲۹۷] بصائر الدرجات: ۱۰۲ ج ۲ ۱۳ ح ۴.

[۲۹۸] بشارة المصطفى لشيعة المرتضى: ۱۹۴.

[۲۹۹] الوسط والشهودية، مشروعان لإنقاذ الحضارة (مصدر سابق): ۱۶۵، ويلاحظ أيضا تفسيره من وحى القرآن، الجزء الرابع، من الطبعة الجديدة ۴: ۱۵۳.

[۳۰۰] نفس المصدر: ۱۶۶.

[۳۰۱] نفس المصدر: ۱۶۸.

[۳۰۲] الدخان: ۳ – ۴.

[۳۰۳] القدر: ۲ – ۵.

[۳۰۴] فى تعبير الروايات الصحيحة عن أهل البيت عليهم السلام أن الروح خلق أكبر وأعظم من الملائكة، ولهذا خالف محمد حسين فضل الله هذه الروايات حينما طرح تفسير أهل العامة بكون جبرئيل عليه السلام هو المعنى بذلك كأحد احتمالين، معتقديم هذا الاحتمال تراتبيا على ما فسرته روايات أهل البيت عليهم السلام. (أنظر من وحى القرآن ۲۴: ۴۰۸).

[۳۰۵] أنظر من وحى القرآن ۲۴: ۴۰۵ فما بعد.

[۳۰۶] سورة البقرة: ۲۵۷.

[۳۰۷] بمعنى المعضلة والمشكلة.

[۳۰۸] الكافى ۱: ۲۴۵ – ۲۴۶ ح ۱.

[۳۰۹] أنظر الكافى ۱: ۲۴۵ فما بعده، وتفسير نور الثقلين ۵: ۶۱۹ فما بعدها، وتفسير كنز الدقائق ۱۱: ۴۴۰فما بعد، وموضع السورة فى تفاسير العياشى والبرهان وتأويل الآيات الظاهرة فى مناقب العترة الطاهرة.

[۳۱۰] تفسير القمى ۲: ۴۳۲.

[۳۱۱] الأصالة والتجديد (مصدر سابق): ۶۲.

[۳۱۲] حوارات فى الفكر والسياسة والاجتماع (مصدر سابق): ۴۸۰.

[۳۱۳] فى رحاب دعاء كميل: ۹۴.

[۳۱۴] نفسه: ۱۵۹.

[۳۱۵] غرائز الجوع والعطش والجنس وحب الذات.

[۳۱۶] نفس المصدر: ۱۶۹.

[۳۱۷] من شريط مسجل بصوته بث من قبل إذاعة محلية فى لبنان نحتفظ به.

[۳۱۸] من شريط مسجل نحتفظ به.

[۳۱۹] فى آفاق الحوار الإسلامى المسيحى: ۲۹۴ محمد حين فضل الله، دار الملاك، الطبعة الأولى ۱۹۹۴.

[۳۲۰] التوبة: ۳۰.

[۳۲۱] المائدة: ۷۳.

[۳۲۲] أنظر كتاب خلفيات كتاب مأساة الزهراء عليها السلام ۱: ۲۴۷.

[۳۲۳] أنظر مجلة المرسم العدد ۲۱ – ۲۲ (عدد خاص بفتاويه): ۲۵۰ س ۹۴۲. وكذا كتاب الإنسان للحياة:۳۰۰.

[۳۲۴] أنظر من وحى القرآن ۱۰: ۱۶۶ – ۱۶۷.

[۳۲۵] نقول ذلك لأن تيار الانحراف اجتهد فى ادعاء أن أقواله لها ما يماثلها لدى علماء الطائفة، ولا بد لنا هنا من أن نشير إلى الفرق بين من يضم فى أفكاره واحدة أو أكثر من الأفكار الشاذة ويبقى ملتزما فى دائرة أساسيات التفكير العقائدى، وآخر نقب وبحث فى غالبية كتب من تقدم من العلماء فعثر على شواذ أفكارهم أو ما يصلح للتطويع باتجاه الشاذ من التفكير، فضم هذه الشواذ إلى مجموعة

انحرافاته كي يقول بأن أفكاره ليست من عنديات وإنما هي أقوال العلماء السابقين، أضف إلى ذلك فإن المقياس في الحق ليس هو الرجال أيا كانوا طالما خرجوا من دائرة العصمة، وإنما الأصل هو الحق الذي يعرف تفكير هؤلاء الرجال، وملاك هذا الحق هو القرآن وصحيح السنة المعصومة.

[۳۲۶] الندوة ۱: ۴۲۲.

[۳۲۷] تأملات إسلامية حول المرأة: ۸ - ۹.

[۳۲۸] الأعراف: ۱۷۵.

[۳۲۹] التوبة: ۳۴.

[۳۳۰] الكافي ۱: ۵۴ ح ۱.

[۳۳۱] الكافي ۱: ۶۷ ح ۱۰.

[۳۳۲] الأعراف: ۱۶۴.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ في سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ عليّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – في تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذي" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذي قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبيّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام عليّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، في سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّي الحاسوبيّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجي الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّي الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة في الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التي يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – في آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – في أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ أُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبيّة، قابلة للتشغيل في الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّـلاثيةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائى/ "بناية "القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹